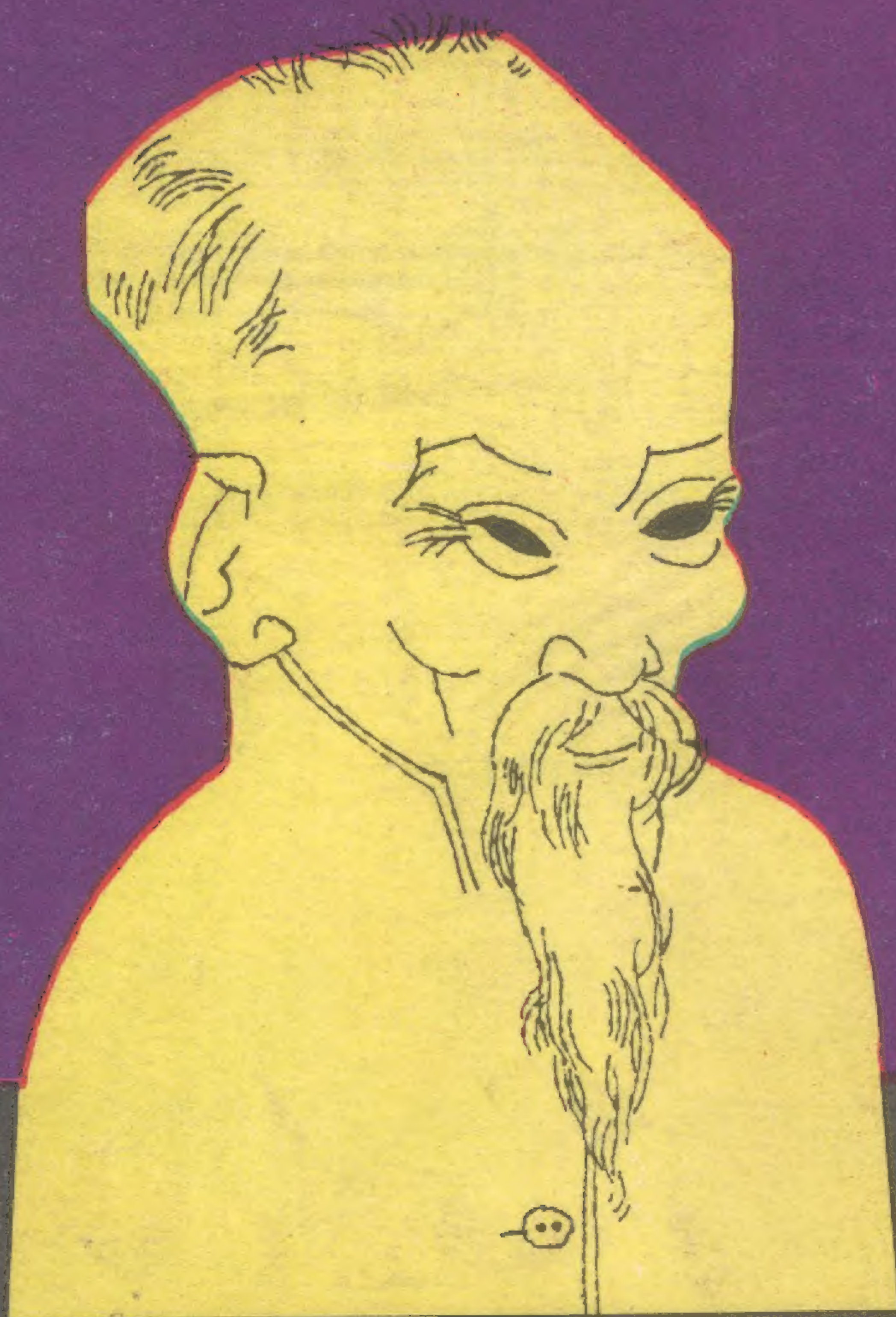


مورج عزیز

لہوری سنہ

افغان

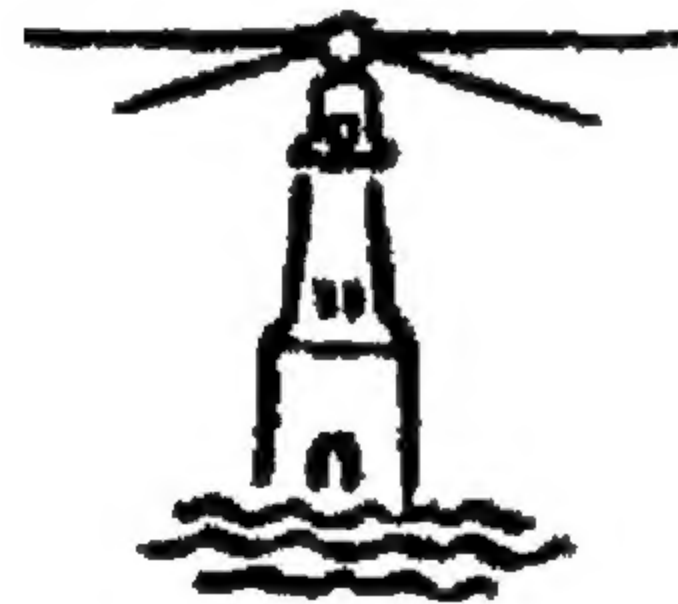


لبنان ١٠٠ ق. ل	سوريا ١٠٠ ق. س	الأردن ١٠٠ ف. أ
العراق- الكويت ١٠٠ ف. ع	الخليج العربي ١٥٠ ف	السعودية ٢ ريال
عُدن ٣,٥ شلن	السودان ١٢٠ ملياً	ليبيا ١٥ قرشاً
تونس ٢٠٠ مليم	الجزائر ٢,٢٥ دينار	المغرب ٢,٢٥ درهم



تصدر في أول كل شهر

رئيس التحرير: عادل الخضير



دار المعارف بمطرح

بأسلوب اليوم و تفكير الغد

جوسج عزيز

هوشى منه الزعيم الأسطوري

اقرأ
٣٢٤
دار المعارف بمصر

أقرأ ٣٢٤ - ديسمبر سنة ١٩٦٩

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

إلى أبطال المقاومة في الأرض المحتلة .

جورج عزيز

تعزية من الرئيس جمال عبد الناصر في وفاة الرئيس هوشي منه

بعث الرئيس جمال عبد الناصر في الرابع من شهر سبتمبر الماضي برقية إلى السيد فام فان دونج رئيس وزراء فيتنام الديمقراطية معزياً في وفاة الرئيس هوشي منه . قال فيها :
« تأثرت غاية التأثير لنبا وفاة الرئيس هوشي منه . ولا شك أن فقد هذا المناضل العظيم ، الذي كرس حياته من أجل الدفاع عن حرية شعبه ، وحمل مشعل التحرر في بلاده ، تعد خسارة كبيرة لفيتنام والشعب الفيتنامي . ويشركني شعب الجمهورية العربية المتحدة في الإعراب لكم وللحكومة وللشعب الفيتنامي ، عن أخلص التعزية القلبية ، وصادق المواساة » .

رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى مؤتمر تأييد شعب فييتنام

معركة الحرية لا تتجزأ
وتضامن الشعوب المناضلة
سينتصر على كل أسلحة العدوان

بعث الرئيس جمال عبد الناصر في الرابع من شهر سبتمبر
عام ١٩٦٨ برسالة إلى المؤتمر الطارئ لتأييد شعب فييتنام ، الذي
بدأ يومئذ في القاهرة ، هذا نصها :

« باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وباسمى ، أرحب
بمؤتمركم في أرض هذا البلد الذى خاض ، وما زال يخوض ، أسمى
معارك الكفاح ضد العدوان الاستعماري من أجل تحقيق الحرية ،
وإرساء دعائم السلام القائم على العدل . إن مؤتمركم ينعقد في
مرحلة تاريخية حاسمة بلغ فيها الصراع بين قوى الاستعمار وبين
الشعوب المناضلة ذروته .

« وفي مقدمة هذه الشعوب المناضلة يقف الشعب الفيتنامي
الباسل الذى تزداد مقاومته قوة وصلابة كلما ازداد العدوان
الأمريكي الاستعماري ضراوة ووحشية .

« إن الشعب الفيتنامي يخوض معركة بطولية من أجل حقه في الحرية والاستقلال . ولقد استطاع أن يصمد أمام أعنى قوى الاستعمار والعدوان ، ويواجه ببسالة الحرب العدوانية التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ضد فيتنام الجنوبية ، وأن يقف صامداً أمام العدوان والغارات الجوية ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية .

إن الشعب الفيتنامي يخوض معركته الشريفة من أجل وقف العدوان ، والتحرر الوطني ، ومن أجل تنفيذ اتفاقية جنيف التي عقدت عام ١٩٥٤ تنفيذاً كاملاً حتى يمتلك الشعب الفيتنامي حقه في تقرير مصيره ، وتحقيق وحدته » .

« إن كفاح الشعب الفيتنامي جزء من نضال الشعوب المكافحة ضد الاستعمار من أجل التحرر الوطني ، والبناء الاقتصادي ، والتقدم والسلام .

في أفريقيا تقف قوى الثورة الوطنية ببسالة أمام قوى الاستعمار ومؤمراته وعملائه لتواجه التمييز العنصري ، والضغط الاقتصادي ، والثورات المضادة .

وفي الشرق الأوسط يقف الشعب العربي صامداً أمام العدوان الاستعماري الإسرائيلي الذي يؤكد حقيقة إسرائيل كقاعدة استعمارية ، ويؤكد طبيعتها العنصرية التوسعية العدوانية التي تستهدف عرقلة التقدم العربي ، واستنزاف موارد الدول العربية ، والقضاء على آمال الوحدة العربية ، بل ويضرب تضامناً الشعوب

الأفريقية الآسيوية ونضالها من أجل التحرير الوطني . والتقدم
الاجتماعي ، والتنمية الاقتصادية . ويشكل خطراً على السلام ،
ليس فقط في الشرق الأوسط بل خطراً تمتد آثاره لتهديد
السلام العالمي كله .

إن معركة الحرية لا تتجزأ ، وإن الشعب الفيتنامي ،
بموقفه الباسل في وجه العدوان الاستعماري ، يؤكد أن العدوان ،
مهما بلغت قوته ، لا يجدي ، وأن حق الشعوب أقوى من
بطش المعتدين ، وأن تضامن الشعوب المناضلة من أجل حريتها
ومن أجل حقها في الحياة سينتصر على كل أسلحة العدوان ،
وسيحقق في النهاية ، برغم كل النكسات والعثرات ، عالماً أفضل
تزول منه مظاهر الاستغلال ، والاستعباد ، والعنصرية ، وتسود
فيه العدالة والرفاهية والسلام .

مقدمه

فى ساعة مبكرة من صباح اليوم الرابع من شهر سبتمبر
الماضى طوى الموت المناضل القذ هوشى منه رئيس فييتنام
الديمقراطية (الشمالية) بعد أن ساءت صحته ، وفشلت الجهود
فى إنقاذه .

وكان الزعيم الفيتنامى الراحل الذى أصبح أسطورة بين
شعوب الشرق الأقصى ، قد احتفل فى التاسع عشر من شهر
مايو الماضى بعيد ميلاده التاسع والسبعين . وقد شوهه حينئذ وهو
يرقص فى شوارع هانوى مع الأطفال والصبية .

وقال المعلقون فى إذاعة فييتنام الديمقراطية يومئذ إنهم سعداء
لأنهم شاهدوا العم « هو » يبدو ، رغم إن السيجارة لا تفارق
فه ، وكأنه فى العشرين من عمره .

إن وفاة هوشى منه لتذكرنا بعدة حقائق غاية فى الأهمية ،
لعل أخطرهما أنه قاد معركة حفزت كل أسيوى إلى أن يرفع
رأسه متحدياً كل باطل . . .

* * *

بدأ العم « هو » يشتعل حماساً ، ويناضل فى غير هوادة ،
منذ زهاء نصف قرن . . عاش فى المخائى وكهوف الجبال ،
ونخاض غمار أعنف المعارك التى كان يكثر فيها الكر والفر ،

وسعد بثقة شعبه الذى يكن له حباً صادقاً . خالصاً ، وتولى
رياسة الجمهورية لأن الشعب لم يرض بغيره رئيساً . .
لقد أنفق نصف قرن فى نضال مرير من أجل الأمة
الفيتنامية . وفى سبيل الثورة اللينينية . . كان نضاله — ولا يزال —
من نوع فريد لم يسبق له مثيل فيما يتعلق بتنوع الخطط
التكتيكية . وشدة التباين بين المواقف . والمرونة العجيبة فى
المناورة . والأخطار الشديدة التى تعرض لها ، والتضحيات
الجسام التى لم يجد مفرّاً من بذلها . . .

هذا الرجل ذو الجسم الضئيل ، والوجه الذى يشبه الشاى
فى لونه ، والذقن التى يقرب لونها من لون الأرز ، والنظرة
الفاحصة المدققة . والعينين اللامعتين اللتين يعلوهما جبين يتوجه
شعر أبيض ، خفيف ، ثائر أبداً . . .

هذا الرجل الذى يبدو « هشاً » وكأنه لا يعيش إلا بقوة
الخيال والتصور ، وفى نيران الكفاح والنضال . . .

هذا الرجل الذى خاض غمار أطول حرب ضد أقوى الدول ،
هو الذى استطاع أن يهيء شعبه الباسل للصمود أمام المارد
الذرى الأمريكى . . .

لقد انتهى نضال « لينين » فى بداية عام ١٩٢٤ ، وانتهى
كفاح « تروتسكى » فى غضون سنة ١٩٤٠ ، ولم يظهر
« ماوتسى تونج » قوته الحقيقية إلا فى سنة ١٩٢٧ . ولم يبدأ
نفوذ « تيتو » يتجلى إلا فى سنة ١٩٤٢ . . .

أما العم « هو » — هوشى منه — الذى استلهم الثورة الفرنسية . فهو مناضل اشتراكى منذ ثورة أكتوبر
كان عضواً فى الحزب الشيوعى الفرنسى . وعضواً فى الحزب الشيوعى السوفييتى . ولعله انضم . خلال فترة ، إلى عضوية الحزب الشيوعى الصينى .

وهو مؤسس الحزب الشيوعى الهندى الصينى وحزب « الفيت منه » ثم حزب « لاو دونج » ، وذاق الأمرين فى سجون يونان حيث كانت قدماه مكبلتين بالحديد !
ولقد اضطرته ظروفه الخاصة إلى أن يتخذ لنفسه عدة أسماء نذكر منها : « كونج » و « نجوين تاب ثانه » و « با » و « نجوين إى كوك » و « فوونج » و « شن » و « لين » و « تران » . . وأخيراً « هوشى منه »

هذا الرجل الذى دخل اسمه التاريخ من أوسع أبوابه . استطاع بجلده العجيب ، ومثابرته المثالية ، وروحه البطولية ، أن يبعث أمة من الموت ، ويشيد دولة ، ويقود شعبه فى حربين ضاريتين .
لقد أسفر نضاله ضد فرنسا عن تصفية إمبراطورية استعمارية كبرى

أما الحرب التى أدارها ببراعة وجسارة ضد الولايات المتحدة ؛ فقد جاءت برهاناً قوياً دامغاً على أن للقوة المادية الغشوم حدوداً أمام الإنسان

جورج عزيز

الفصل الأول

أرض الأبطال والشعراء

الطريق المؤدى إلى قرية العم « هو » فى إقليم « نجه آن » جزء من منظر طبيعى رائع يستمد جماله وفتنته من سحر البحيرات الخضراء ، والجبال الزرقاء . . .

وإذا وقف المرء على جبل « شونج » ، الذى تقع على مقربة منه القرية التى ولد فيها أبوه ، ثم القرية التى نشأت فيها أمه ، لاستطاع أن يمد بصره إلى كل أرجاء تلك المنطقة التى تعد أرض أشهر المناضلين الثوريين فى فيتنام . . . إنها أرض الأبطال ، ولكنها ، فى الوقت نفسه ، أرض الشعراء الذين يجيدون لغة السياسة والوطنية مثلما يجيدون لغة الحب النقى الخالص .

ومن حق أهالى « نجه آن » أن يفخروا بأن إقليمهم كان ، فى كثير من المناسبات ، المعقل الأخير الذى تحطمت أمامه جيوش الغزاة ، أو الميدان الذى اشتعلت فيه الثورات ضد المستعمرين .
فى غضون عام ١٤١٨ قام أهالى الإقليم بحركة تمرد عارمة ضد جيش الاحتلال الذى كان يحمى مصالح الإقطاعيين الصينيين ، واشتركوا مع أهالى الأقاليم الأخرى فى تنظيم حركة مقاومة غاية فى العنف أسفرت ، فى النهاية ، عن تحرير البلاد من كل أثر للاستعمار .
وبعد ذلك بثلاثة قرون حدث فى سنة ١٧٨٩ أن غزت قوات « المنج »^(١) فيتنام ، فما كان من سكان إقليم « نجه آن »

(١) أسرة مالكة حكمت الصين من سنة ١٣٦٨ حتى سنة ١٦٤٤ . وقد أسسها الراهب البوذى شويوان شانج الذى طرد المغول من الصين . وكانت الإمبراطورية الصينية تمتد فى أزهى عصور هذه الأسرة من بورما إلى كوريا .

و « ثانة هوا » إلا أن جندوا جيشاً قوامه خمسون ألف مقاتل استطاع أن يمزق أوصال القوات الغازية . ويسترد العاصمة .

و حين كانت البلاد خاضعة للسيطرة الفرنسية كان إقليم « نجه آن » ميداناً لأحداث ثورية معادية للاستعمار .

ففي الفترة التي امتدت من سنة ١٨٨٥ إلى سنة ١٨٩٦ ، قام المثقفون (فان ثان) بحركات وطنية على أعظم جانب من القوة .

وفي سنة ١٩٠٤ قاد الزعيم الوطني « فان بواشو » ما أشماه بـ « دونج دو » أي حركة السفر إلى الشرق ، وهي حركة وطنية كانت موجهة ضد السيطرة الفرنسية . ولقد طلب إلى اليابان أن تساعد على مكافحة المستعمرين الفرنسيين وتحرير البلاد ، بيد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية استطاعت التفاهم مع اليابان على خنق تلك الحركة .

وفي سنة ١٩٣٠ انضم الأهالي — تحت إشراف الحزب الشيوعي الهندي الصيني — إلى العمال والفلاحين لمكافحة الإقطاعيين والاستعماريين الفرنسيين . وقد تبلورت تلك الحركة التي كانت تسمى « نجه تنه » في إقليم « نجه آن » و « هاتفه » في وسط فيتنام حيث تصدعت الحكومة الاستعمارية الفرنسية ، وأنشأ الثوار حكومة شعبية ، وكان رد فعل الاستعماريين أن أغرقوا البلاد في الدماء .

إن « نجه آن » إقليم كثير الجبال والغابات ، قليل الأراضي الزراعية . وفي الصيف تهب عليه رياح ساخنة من الجنوب الغربي هي رياح « لاوس » التي تجفف الأرض وتجعلها تتشقق ، وتحرق المزروعات ، وتسبب للأهالي ضيقاً ما بعده ضيق ، ثم يجيء موسم الأمطار الشديدة ، والأعاصير العنيفة . وفي هذا يحكى أفراد قبائل الـ « ميو » الذين يعيشون في المناطق الجبلية ، أنه حدث ذات يوم أن استبد الغضب بالسما إلى حد جعلها تعصف بعدة آلاف من الناس دفعة واحدة ! ويروى أهالي الإقليم حكايات أغرب من الخيال عن الفيضانات والأعاصير

المدمرة التي عانى منها أسلافهم الأمرين . وأخطرها إعصار سنة ١١٣٧ الذي اقترن بهزة أرضية غاية في الشدة والعنف . . وكان من جراء ذلك كله أن « أصبح ماء النهر أحمر كأنه دم » .
على أن أهالي هذا الإقليم لا يدخرون وسعاً في سبيل السيطرة على هذه الطبيعة القاسية المتمردة التي علمتهم الصبر . والمثابرة ، والنظام ، والاقتصاد والقدرة الخارقة على مواجهة الشدائد والأخطار : والتعاون الصادق الوثيق في ساحة الوغى .

وكان من أثر المعارك الطاحنة التي خاضها أهالي هذا الإقليم ضد الطبيعة والغزاة . أن كثرت الشخصيات البطولية الأسطورية في تاريخهم ، وأصبحت لهم تقاليد فريدة أساسها قوة الاحتمال . والتضامن إلى أقصى حد . والجرأة التي قل أن يكون لها ضريب ، والتفاني في العمل ، والاستبسال في الذود عن الوطن . ولقد أسهم هذا كله في ازدهار حياتهم الثقافية . وتكوين كثر من الأدب الشعبي : القصص ، والروايات ، والمسرحيات . والأناشيد ، والأغاني .

* * *

في هذا الجو ، وفي هذه البيئة ، وبين أحضان هذه الطبيعة المتمردة دائماً ، نشأ « هوشى منه » رئيس جمهورية فيتنام الديمقراطية الراحل . كانت قرية « كيم لينى » التي ولد فيها ، مكتظة بالأهالي الذين كان كل منهم يملك مالا يزيد على ٣ ساو ، أى ما يقرب من ٣٦٠ متراً مربعاً من مزارع الأرز ، أما الأثرياء فكان كل منهم يملك مالا يقل عن مائة ماو ، أى ما يساوى ٣٦٠٠ متر مربع . وكان كثيرون من القرويين أجراء زراعيين ، ويرتدون ثياباً ممزقة أو يكتفون بسراويل بسيطة . ومع ذلك فقد كانت للحياة لحظاتها السعيدة ، وكان الناس يغنون أحياناً ، متناسين ما يعانونه من عوز وفاقة . . .

* * *

إن حب المرء لمسقط رأسه ، وقطعة الأرض التي رأى فيها النور لأول مرة في حياته لا يمكن أن يزول . . .

كان « هوانج كسوان هانه » من مواليد هذه المنطقة ، وعم « هوشى منه » : قد انضم إلى « دى ثام » زعيم حركة تمرد الفلاحين على القوات الفرنسية في فيتنام الشمالية في سنة ١٨٨٧ ، وهي حركة دامت زهاء ثلاثين عاماً . ولكن « هوانج » رأى أن يعود بعد مدة إلى قرية « بولو » في إقليم « نجه آن » بعد أن أدى واجبه في الشمال ، وذلك ليواصل مقاومة السيطرة الفرنسية .

وإن هي إلا بضعة أشهر حتى اعتقلته السلطات الفرنسية ، ورحلته إلى جزيرة « بولوكوندور » . وحين مثل أمام حاكم الجزيرة ليأمر بإعدامه صدم فكه بالأرض صدمة عنيفة ليقطع لسانه ! . . . وفعل قطع جزءاً من لسانه ! ! .

وعندئذ أدرك الحاكم العدو أنه لن يستطيع أن يحمله على الكلام ، ومن ثم أطلق سراحه فرحل إلى مدينة « هيويه » .

لم ينشأ العم « هو » في أسرة أرستقراطية على الرغم من أن أباه حصل على الدكتوراه في الآداب الصينية ، إذ الواقع أن الأسرة ، واسمها « نجيين سينه » ، لم تكن تضم فرداً واحداً على درجة من الثراء ، فقد كان معظمهم يعملون أجراء .

والسؤال الذى ينبغى أن نوجهه إلى أنفسنا إذن هو : كيف يمكننا أن نفسر ظهور رجل يحمل دكتوراه في الآداب في أسرة « نجيين سينه » ؟ كان « نجيين سينه ساك » ، أبو العم « هو » من أسرة قروية ، وابناً لامرأة من طبقة متواضعة . واضطر بعد أن أصبح يتيماً في صغره إلى أن يعيش مع شقيق من أم أخرى تنتمى إلى طبقة أرقى . والواقع أنه كان يحيا حياة الخادم . وحدث ، ذات يوم ، أن غضبت زوجة أخيه

لأنه لم يقطع الحضر بالطريقة التي كانت تريدها ، فما كان منها إلا أن قذفته بأحد الأواني . وكان من أثر ذلك أن طفق يفكر فيما يسعه أن يفعله لينقذ نفسه من هذا الجحيم : وسرعان ما استقر رأيه على أن يتعلم ، فالتحق بمدرسة متواضعة كان قد افتتحها في القرية ، إذ ذاك ، مدرس من الحاصلين على ليسانس في الأدب الصيني يدعى « هوانج كسوان آن » وهكذا بدأ هذا الشاب يتعلم ، ويستذكر دروسه في كل مكان . . . على ظهر البغل . أو بالقرب من آلة تنظيف الأرز ، أو أثناء قيامه بحراسة البقر . وبعد فترة من الزمن قرر « هوانج كسوان آن » أن يعود إلى مسقط رأسه « شوا » ، ليفتح هناك مدرسة كبيرة ، وطلب من « سينه سالك » أن يرافقه ، فوافق على الفور .

وقد واصل الشاب الصغير في « شوا » العمل الذي كان يمارسه في القرية وهو حراسة البقر ، وفي الوقت نفسه أكب على الدراسة ، ولم يلبث أن تفوق فيها ، وكانت للأستاذ ابنتان تدرسان ، بدورهما ، الأدب الصيني . وكانت كبراهما تبدى شعوراً رقيقاً نحو هذا الشاب الرشيق النابه ، وفكر الأستاذ في مسألة الزواج ، ولما فاتح زوجته في الأمر رفضت بشدة قائلة :

ألم يعد في القرية شبان لكي تفكر في تزويج ابنتك من خادم ؟
وهنا قال لها الأب إن « سالك » شاب متعلم ، وإنه سينجح في الامتحان ، وهكذا استطاع أن يقنع زوجته آخر الأمر . ثم بنى الزوجين بيتاً متواضعاً في حديقة المنزل ، وأعطاهما قطعة أرض مزروعة أرزا . وفي ذلك البيت المتواضع الذي كان أقرب إلى الكوخ منه إلى أي شيء آخر ، ولد « هوشي منه » واخته « ثانه » وأخوه « خيم » .

وفي غضون عام ١٨٩٤ ، ظفر راعي البقر السابق بالليسانس في الآداب الصينية ، وسافر مع زوجته إلى مدينة « هيويه » . وبعد قليل عادت هي إلى القرية لتأخذ الأولاد . ولقد شغل « سالك » أول الأمر ،

منصباً في الكلية الوطنية « كلية كوك توجيام » . ثم عين مدرساً في مدرسة الزراعة .

وفي سنة ١٩٠٠ وقع عليه الاختيار ليكون أحد الممتحنين في مسابقة للمثقفين نظمت في مدينة « ثانه هوا » . واصطحب معه ابنه البكر . وبقيت زوجته في « هيويه » حيث وضعت ابنهما الأخير . وبعد أن فرغ « ساك » من ذلك الامتحان عاد إلى القرية ، ثم سافر إلى « هيويه » حيث حصل على الدكتوراه .

وعاد « ساك » إلى « فنه » . فهرع إليه القرويون ليقتربوا عليه أن يقيموا حفلاً لتكريمه . فرفض بحجة أنه لم تمض فترة طويلة من الزمن على وفاة زوجته . يضاف إلى ذلك أنه لم يكن يملك بيتاً يستقبل فيه المحتفلين به .

بيد أن الأهالي كانوا شديدي الإعجاب بمواطنهم « ساك » لحصوله على الدكتوراه ، إلى حد جعلهم يشترون له بيتاً من الخشب في منطقة « كسوان لا » ، ثم نقلوا البيت كله إلى قرية « كيم لين » ، وأقاموه في قطعة أرض واسعة ، وزرعوا حوله حديقة .

ومنذ ذلك الوقت جاءت كل الأسرة للإقامة في « كيم لين » ، وأصبح الدكتور الحديد الشخصية المرموقة في المنطقة . وبتحاً إلى شتى الحيل ليرجى سفره إلى « هيويه » حيث كان سيعين في منصب حكومي كبير . ولكن القصر الملكي والسلطات الاستعمارية الفرنسية استطاعت ، بعد لآي ، أن تكرهه في سنة ١٩٠٥ على السفر إلى « هيويه » ليشغل منصب سكرتير بوزارة المذاهب الدينية .

وأراد أحد سكان القرية أن يذهب معه فبادره قائلاً : « ابق هنا وحاول أن تكسب عيشك . . ثق أنه من المستبعد جداً أن أصبح من كبار رجال الحكومة » .

وفي « هيويه » كان يلقي ، من وقت إلى آخر ، محاضرات لتفسير

النصوص الأدبية والفلسفية في قاعة « دى لوان » التابعة للكلية الوطنية .
وبعد أن فرغ من إلقاء محاضراته ذات يوم . قال لتلا ميذه : « إن
الوظائف الحكومية الكبيرة هي عبودية العبودية » .

وفي سنة ١٩٠٩ تقرر تعيينه نائب حاكم في مقاطعة « بينه نخي »
في قلب إقليم بينه دينه ، ولكنه كان كثير التردد في إصدار أحكام في
القضايا التي كانت تعرض عليه . أو يصدر أحكاماً غاية في التسامح .
ولما اكتشف المدير الفرنسي العام ذلك أثناء إحدى جولاته التفتيشية ، قرر
فصله من منصبه .

ولم يعد « سالك » إلى قريته ، بل ظل يتنقل من إقليم إلى إقليم فترة
من الزمن . ثم ذهب إلى الجنوب . وفي غضون سنة ١٩٢٦ كان في
سايجون . ويرى أنه كان يقف كل يوم في شارع « لاجرانديير »
مرتدياً ثوب القرويين في الجنوب ، وهو مكون من جاكته وبنطلون
سوداوين ، ليقدم نصائح طبية إلى المرضى لقاء أجور زهيدة ، ولم تكن
وجباته الغذائية تتجاوز قليلاً من الأرز وبيضضة مسلوقة .

وكثيراً ما كان يأوى إلى أحد المعابد البوذية بالقرب من كوبرى
« أونج لانه » ، إذ كان الرهبان البوذيون يسمحون له بذلك لأنه كان
يقرأ لهم الآيات البوذية .

وحين عاد « هو » إلى كانتون ، علم أبوه بذلك وسأل عنه ، ذلك أن
نشاط ابنه الثوري كان له صدى أخذ يتسع شيئاً فشيئاً في البلاد . وكان
البوليس الاستعماري يخشى الاتصالات بين الأب والابن ومن ثم اضطر
« سالك » إلى الرحيل من سايجون إلى ساديك حيث قويت أواصر الصداقة
بينه وبين قروي عجوز يدعى الأب « نام جياو » الذي كانت أسرته
تتوارث « الوصفات الطبية الشهيرة » من جيل إلى جيل ، وعلى بعد بضعة
مئات من الأمتار من بيت « نام جياو » كان هناك معبد اسمه « نرواسانه »
وكان « سالك » يوزع وقته بين بيت صديقه والمعبد والرحلات .

وفي المناطق الجنوبية حيث يكثر البعوض ، ينام الفقراء داخل أكياس من قش الخيزران المجدول . وقد اشتهر « سالك » باسم « الدكتور صاحب الكيس » لأنه كان يحمل كيساً من هذا النوع أينما ذهب !
وفي سنة ١٩٢٠ سافر إلى مدينة « شان دوك » ليزور صديقاً قديماً . ولكنه مرض وهو في طريق العودة ، وأغمى عليه . وعندما أفاق رفض أن يتناول أى طعام أو دواء ، وساءت حاله ، ولم يثبت أن أسلم الروح .

وبينما كان الأب يحيا تلك الحياة غير المستقرة في الجنوب ، كانت الأنسة « ثانه » والسيد « خيم » على اتصال — في قرية الأسرة — بـ « دوا كويين » و « دوافان » زعيمى الثوار في إقليم « نجه آن » . وكان من جراء ذلك أن اعتقلا فترة طويلة من الزمن .
كانت الأنسة « ثانه » قوية الشخصية ، يقظة ، شجاعة ، ومثقة . وكانت تمارس الطب الشرقى . وقد جاءت إلى « فنه » حيث افتتحت مطعماً لضباط وجنود الميليشيا ، وكانت تأخذ منهم أسلحة بشتى الحيل وترسلها إلى الثوار في « بولو » .

ولقد بادرها الحاكم المحلى ذات يوم قائلاً : « إن النساء الأخريات يلدن أطفالاً ، أما أنت فإنك تلدين بنادق ! » . وبعد فترة من الزمن رحلت إلى « هيويه » لكي تنقل رفات أمها إلى مسقط رأسها . ويقال إنها اغتصمت تلك الفرصة لتنقل معها أسلحة ، وإن الحاكم قرر لهذا السبب ترحيلها إلى « كوانج نجاي » ، ثم لم يلبث أن أعادها إلى « هيويه » ووضعها تحت المراقبة .

وفي ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ تساءل أهالى « سن » عندما وقعت أبصارهم على صور رئيس الجمهورية عن هذه الشخصية ولم تكن الأنسة « ثانه » أقل اهتماماً منهم بمعرفة كل شىء عن الرئيس ، ومن ثم قالت لهم : « سأسافر إلى هناك لأقف على كل شىء » ، وليرتاح قلبى .

وأخذت معها بطتين وعشرين بيضة وسافرت إلى العاصمة ! والتقى الأخ والأخت مرة أخرى . وقد عادت إلى القرية حيث طواها الموت في سنة ١٩٥٤ . ومع أنها كانت جميلة وذكية ، فإنها لم تتزوج أبداً . ويروى أن شاباً حاصلاً على ليسانس الآداب طلب يدها فرحبت به أيما ترحيب مع أنها لم تكن تنوى أن توافق على الاقتران به . ولا كانت السلطات الحاكمة تراقب أفراد الأسرة جميعاً ، فقد ألقت القبض على ذلك الشاب لأنه طلب يدها ، ولم تطلق سراحه حتى لكى يودع أباه إلى مثواه الأخير ! وأمام هذا المسلك الفوار بالظلم الصارخ أسرع إلى عاصمة الإقليم لمطالبة المسؤولين بأن يسمحوا لها بأن تحمل محل الشاب في السجن حتى يمكن الإفراج عنه ، ولكنهم رفضوا طلبها ! .

وكان « خيم » ذا شخصية قوية ، شديد الكبرياء . وحدث ، ذات يوم ، أن بعث إلى الحاكم الفرنسي العام « ألبير سارو » بتقرير عن البؤس الذى يعيش فيه الشعب قائلاً : إن الحال ، بوجه عام ، تحتاج إلى إصلاحات عديدة . وبعد أيام دخل مكتب نائب الحاكم ليسأل عن مصير تقريره ، فأمره وإبلا من الشنآنم ، وحاول أن يركله غير أن « خيم » أمسك بساقه وأوقعه على الأرض . مع إن « خيم » كان فقيراً فإنه لم يكن يبخل بما لديه — بضعة قروش أو جاكته قديمة — على المعدمين . وكان أول من نظم التعليم بطريقة « كوك نجو » أى كتابة اللغة الفيتنامية بحروف لاتينية . ووافته المنية وهو أعزب في سنة ١٩٥٠ .

ومن سخرية القدر أنه حين عادت الأنسة « ثانة » و « خيم » إلى قريتهما اضطرا إلى الإقامة عند الجيران ، ذلك أن بيت جدهما كان قد هدم منذ زمن طويل ، كما أن البيت الخشبي الذى كان الأهالى قد أهدوه إلى « ساك » تصدع ، وأوشك أن ينهار .

هذه البيئة العائلية التى ذاقت الأمرين من قسوة القدر كان لها أكبر الأثر في توجيه حياة العم « هو » .

الفصل الثانى

كل شىء يهون فى سبيل الثورة

كانوا يسمونه . وهو طفل ، « نجويين سينه كونج » ، وقد أرضعته إحدى خالاته لأن أمه لم تستطع أن تفعل ذلك . وكان ، وهو صبي . يرتدى سترة ذات أزرار جانبية ، وكان يصفف شعره على نحو آثار . فيما بعد ، سخرية زملائه فى « هيويه » . وكان لا يكف عن توجيه الأسئلة عن كل شىء حوله . وحدث . ذات يوم . أن أرعدت السماء وأبرقت ، فسأل أحد الرجال عن سبب هذا القصف الشديد ، فلما أجابه بأن ذلك يحدث فى السماء ، سأله مرة ثانية : « هل هناك أشياء أخرى فى السماء ؟ هل هناك رجال ؟ » على أنه لم يكن فى وسعه — لصغر سنه — أن يفهم الأحداث الكبرى التى كانت تدور حوله . ، مثال ذلك أن قوات المتمردين والثوار كانت تستبسل فى القتال فى أماكن عدة ، ومع ذلك فقد استطاعت قوات الاستعمار والرجعية أن تحطم حركة التمرد فى « تان هوا » .

ولكنه وقف على كل ما كان يحتاج إليه من تفاصيل عن تلك الأحداث فيما بعد ، وكان أثر ذلك فى نفسه قوياً ، بعيد المدى . وحدث ، بعد عشرين عاماً ، حين كان يعمل « مرمطونا » فى أحد مطاعم لندن ، أن أجهش بالبكاء عندما تذكر فجأة أن البطل الثائر « تونج دوى تان » شق بطنه بعود من الخيزران المدبب بعد أن وقع فى الأسر ! .

كانت الحال تزداد سوءاً يوماً في إثر يوم ، وكان المعتدون يبدون وحشية لم يعرف أحد مثلها . وكان الشعب ينتظر من المثقفين الوطنيين أن يرشدوه ويوجهوه ، لأنه كان شديد الحرص على أن يعرف مصير كل هذه الجهود والتضحيات التي يبذلها ، والنتائج التي يمكن أن تترتب عليها . ولقد صور أحد القرويين الموقف وقتئذ بهذين البيتين :

ستكون معارك الغد ضارية كبيرة !
وستملاً جثث الموتى الأنهار ، وستقطر السيوف دماً !

كان في الثامنة من عمره عندما سافر إلى « هيويه » . لم يكن قد أنشئ بعد خط حديدى بين « فينه » وبين عاصمة فييتنام الوسطى ، ومعنى ذلك أن هذا الفتى قطع مسافة الثلاثمائة كيلو متر التي تفصل بين المدينتين ، سيراً على قدميه النحيلتين حيناً ، وعلى ظهر حمار أو جواد حيناً آخر .

ولكن لاشك في أنه تعلم الشيء الكثير أثناء مروره خلال الأقاليم الخمسة التي تقع بين المدينتين : لقد مر بمدن كلها حركة وحياة ، ودخل قرى يخيم عليها الهدوء ، واجتاز غابات كثيفة عميقة ، ومناطق جبلية تطل على المحيط الشاسع .

ولقد شرع ، خلال تلك الفترة ، يتعلم القراءة والكتابة ، بيد أن مدرسته الكبرى لم تكن دائماً في الكتب ، بل في خضم الحياة نفسها : فكثيراً ما كان يقوم برحلات طويلة مع أخيه وبعض الأصدقاء .

وفي « هيويه » شاهد الصبي أشياء جديدة : جدران القلعة الشاهقة ، والدور الفخمة ، والجنود الفرنسيين الذين لا يكفون عن شرب النبيذ ، والمهندسين الذين شرعوا في بناء جسر « ترانج ثيان » على نهر « العطور » . في تلك الأثناء - أى في غضون عام ١٩٠٠ - فقد « كونج » أمه . كان الدكتور « ساك » قد سافر إلى مدينة « ثانه هوا » للإشراف على

بعض الامتحانات . واصطحب معه ابنه البكر . وكانت الأسرة تقيم في غرفة مظلمة أمام مبنى إدارة « الرقابة » . وكان « كونج » الذي بلغ وقتئذ العاشرة ، هادئاً ، لطيف المعشر . وكانت أمه تؤثره بحبها لأنه « آخر العنقود » ، ولكنها لم تلبث أن ماتت بعد أن وضعت مولودها الجديد « كسين » الذي طواه الموت بدوره بعد بضعة أعوام من جراء ضعف بنيته .

وإن هي إلا سنوات معدودة حتى عادت الأسرة إلى القرية . وقد رأى أبوه وقتئذ أن يغير اسمه بمناسبة بلوغه العاشرة . فأسماه « نجوين تاه ثانه » ، وألحقه بمدرسة كان يشرف عليها أستاذ ذاعت شهرته في ذلك الوقت هو « هوانج فانه كويينه » ، ولكن اهتمام الصبي بالقصص والروايات مثل رواية « الممالك الثلاث » الصينية ، كان أقوى بمراحل من اهتمامه بالكتب المدرسية .

على أن اهتمامه بالقراءة وما كان يبدية من حرص شديد على توسيع معلوماته ، وعلى العيش في صميم الحياة لا على هامشها ، لم يكن يمنعه من قضاء أوقات الفراغ في ممارسة بعض الألعاب المسلية ، مثل الشطرنج ، واللعب « بالنحلة » .

وكان الدكتور « ساك » مهتماً كل الاهتمام بأن يحصل ابنه على درجة علمية ، فألحقه بمدرسة ثانوية ، وشرع هو — على الرغم من بلوغه الخمسين — يتعلم الفرنسية .

ومع أن احتمالات المستقبل كانت لا تزال غامضة في نظر « ثانه » لأنه لم يكن قد شب عن الطوق بعد ، فقد كان مقتنعاً كل الاقتناع ، بأن ثمة أمرين ضروريين هما : طرد الفرنسيين من البلاد ، وزيادة محصوله العلمي بكل الوسائل المتاحة له .

وأتاحت « ثانه » إذ ذاك فرصة ذهبية للاشتراك في إحدى الحركات الثورية التي كانت تستهدف طرد المستعمرين من البلاد .

كان « فان بواشاو » الذى سبق غيره من المثقفين فى الحصول على الدكتوراه فى الآداب خلال سنة ١٩٠٠ . يتمتع بنفوذ ضخم ، ويقود حركة ثورية قوية . وبعد أن فشلت المؤامرة التى دبرها للقبض على زمام السلطة فى منطقة « نجه آن » : شخص إلى الشمال حيث أخذ يتصل بالمثقفين فى « هيويه » ، ولم يلبث أن تمكن من توسيع دائرة نشاطه الثورى : فاتصل بعدد كبير من المثقفين فى المناطق الوسطى والجنوبية . وفى سنة ١٩٠٤ استطاع أن يجمع كل أنصاره ومريديه فى مدينة « كوانج تام » حيث أنشأوا جمعية أطلقوا عليها اسم « هوى دوى تان » أى « رابطة التجديد » .

وكانت تلك الجمعية تعمل بهمة ونشاط فى كثير من أنحاء البلاد ، وطفقت توفد كثيرين من شبانها إلى الخارج للدراسة . وفى اليوم الرابع من فبراير سنة ١٩٠٥ سافر « فان بوا شاو » إلى اليابان حيث التقى بعدد من الساسة اليابانيين . وفى شهر يوليو من العام نفسه عاد إلى فيتنام ليوفد عددا من الشبان إلى اليابان . وكان شديد الاهتمام بأن يضم ابنى الدكتور « ساك » إلى تلك البعثة ، بيد أنهما اعتذرا عن عدم الاشتراك فيها بحجة أن أباهما متغيب ، ولكن الحقيقة هى أنهما لم يتحمسا للفكرة . !

فلماذا رفض « ثانه » على الرغم من إعجابه الشديد بـ « فان بوا شاو » الذى كان يعد ثورياً من طراز فريد ؟

الجواب الوجيز هو أنه كان يعتقد أن هذه الرحلة لن تعود بالخير على بلاده ، يضاف إلى ذلك أنه لم يكن متحمساً للدراسة فى بلاد « الميكادو » . وبعد سفر تلك البعثة بوقت قليل عاد « ثانه » مع أبيه إلى « هيويه » حيث كان الفرنسيون يعيشون عيشة كلها بدخ بينما كانت حال الشعب الفيتنامى تزداد سوءاً يوماً فى إثر يوم من جراء الضرائب الباهظة التى كانت سلطات الاستعمار تفرضها على الأهالى ، والتى أدت إلى خراب عدد كبير من العائلات .

ولم يكن المستعمرون الفرنسيون يجهلون أن الشعب يكرههم كراهية التحريم ، وكانوا يخشون أن يثور الفيتناميون عليهم في أية لحظة . وكان أول إجراء اتخذوه للحيلولة دون حدوث أية اضطرابات في جنح الليل ، أن أصدروا أوامر مشددة بأن يحمل كل فرد مصباحاً إذا خرج من بيته ليلاً ، وذلك بعد أن خلعوا الملك « ثان ثاي » في سنة ١٩٠٧ ، وأجلسوا ابنه على العرش بدلا منه . وكانوا يلقون القبض على كل من يخالف تلك الأوامر . ويعاقبونه بشدة وصرامة .

ومع أن المتخاذلين من المتعاونين مع سلطات الاستعمار كانوا يزدادون قسوة ووحشية وخاصة من كان منهم يشغل منصبا كبيرا ، فإن وطنية الشعب ازدادت اشتعالا . وكان « فان بواشاو » يبعث من اليابان برسائل يدعو فيها الشعب إلى النضال والثورة . وكان زميله وصديقه الثائر المثقف « فان شوترينه » لا يكف عن الكتابة إلى حكومة باريس مطالباً بالإصلاحات التي ينشدها الشعب .

وهاجم في إحدى رسائله كبار الموظفين الفيتناميين المتعاونين مع سلطات الاحتلال قائلا :

« . . . إنهم يعتبرون بلادنا ضيعة كبيرة يتصرفون فيها على النحو الذي يحلو لهم ، ويعود عليهم بنفع شخصي جزيل . . . إنهم أشبه بالشحاذين في موقفهم حيال سلطات الاستعمار ، وهم لا يعرفون للكرامة وعزة النفس معنى . . . » .

واجتاحت البلاد موجة عارمة من الأفكار الجديدة ، وظهرت حركة ثورية جديدة باسم « حركة التجديد » راحت تدعو في إلحاح شديد إلى اصطناع تقاليد جديدة منها : الشعر القصير بدلا من الشعر الطويل المعقود ، والسترة الغربية بدلا من القميص التقليدي ، واستهلاك المنتجات المحلية ، والقضاء على التقاليد البالية ، وفتح مدارس جديدة ، وإنشاء شركات تجارية .

وسرعان ما اشتدت « حركة التجديد » واتسع نطاقها . وتعاضم اندفاعها النضالي . وجعلت همها أن تشدد النكير على سلطات الاستعمار لتكرهها على خفض الضرائب ، والإقلاع عن اتخاذ الإجراءات التعسفية ضد المواطنين .

وانفجرت المظاهرات الأولى في إقليم « كوانج تام » في شهر مارس من عام ١٩٠٨ . وامتد هيبها بسرعة كبيرة إلى معظم الأقاليم الوسطى . وفي شهر أبريل تدفقت على « هيويه » عاصمة إقليم « ثوايين » جحافل المواطنين قادمين من ستة أقاليم . وأقام رجال « حركة التجديد » عند أبواب المدينة مراكز خاصة لقص الشعر الطويلة ، وتقصير القمصان التقليدية . وتجمع المتظاهرون حول دار الحاكم ، وأحضر معهم طعامهم المكون من الأرز والبقول . ورابطوا في أماكنهم ثلاثة أيام بليالها مطالبين الحاكم بخفض الضرائب .

وعندئذ عمدت السلطات الاستعمارية إلى إخراج الملك الصبي من قصره ، وطلبت إليه أن يتحدث إلى المتظاهرين ، ويحاول إقناعهم بالكف عن إثارة القلاقل . ولكن المتظاهرين ضربوا بكلام الملك عرض الحائط . وفي تلك الأثناء لزم الفرنسيون دورهم ، ولم يكن يرى في الشوارع ظل أي أوربي .

وفي اليوم الرابع بدأت حركة الفمع ، إذ أطبقت قوات الحكومة على المتظاهرين المسالمين ، وراحت تطلق عليهم النار دون رحمة ، وإن هي إلا ساعة أو بعض ساعة ، حتى تحولت المنطقة إلى بركة من الدماء . وسالت الدماء بغزارة في أقاليم أخرى .

ثم تتابعت الأنباء السيئة بسرعة : فشل المحاولة التي قام بها بعض الثوار لتسميم حامية هانوي ، وهجوم القوات الفرنسية على مدينة « ين ثي » التي كان يقيم فيها زعيم المقاومة الشهير « دي تام » ، وانتحار الثائر الكبير « دانج ثاي ثان » بعد أن طوقته قوات الاحتلال في مدينة « ناجه

آن « ، ونجاح اليابان في احتلال كوريا في سنة ١٩١٠ .
 وكان من جراء ذلك كله أن أظلمت الدنيا في أعين كثير من الناس .
 بيد أن الأعمال البطولية التي كان يقوم بها رجال المقاومة ، والجرائم
 الوحشية التي كانت ترتكبها السلطات الحاكمة ، قوت في نفس « ثانه »
 الشاب الرغبة في العمل لإنقاذ البلاد .
 ومن ثم أقالت السلطات الحاكمة الدكتور « سالك » من منصب
 نائب العمدة الذي كان يشغله فاختار لنفسه طريقاً في الحياة . . .
 واختار ابنه « ثانه » طريقاً آخر . . فالتحق بهيئة التدريس في مدرسة
 « دونك ثانا » .



الفصل الثالث

الرحلة الكبرى

في سنة ١٩١١ كانت مدرسة « دوك ثانا » لا تزال مفتوحة ، وكان التلاميذ يتعلمون فيها كتابة الحروف الصينية ، والفرنسية ، وكتابة اللغة الفيتنامية بالحروف اللاتينية . وفي صباح كل يوم كان المدرسون والتلاميذ يمارسون بعض الألعاب الرياضية على الطريقة اليابانية . وكان « ثانه » يدرّس اللغة الفرنسية ، وكتابة الفيتنامية بالحروف اللاتينية ، وكان يرتدى إذ ذاك الـ « بابا » وهو رداء فييتنامي جنوبي مكون من سترة وبنطلون واسع أشبه بالبيجاما ، ويقص شعره قصيراً ، ويقع في المدرسة نفسها ، وفي أيام الخميس والأحد كان يخرج للتريض دون أن يدرى أحد إلى أين ذهب .

وبعد انقضاء زهاء سبعة أشهر على انضمامه إلى هيئة التدريس في تلك المدرسة التي كان مبناهما يبدو وكأنه آيل للسقوط ، انتهى إلى المدرسين والتلاميذ في أحد أيام شهر أكتوبر من العام نفسه — وكان يوم اثنين — إنه سافر فجأة دون أن يدرى أحد . فاستبد الأسى بنفوس التلاميذ لأنهم حرموا من أستاذ حي الضمير ، كان يشعرهم بأنه لا يدرّس لكي يكسب لقمة العيش ، وإنما كان يفعل ذلك لسبب آخر .

كان « ثانه » مأخوذاً ببطولة الحركات الوطنية ، وكان الألم يعصره عصباً لأن تلك الحركات فشلت . ولقد شعر إذ ذاك بأن كل الطرق أصبحت مسدودة ، وأن عليه أن يسافر إلى الخارج .
ولكن إلى أين ؟

كان للثورة الصينية التي اشتعلت في سنة ١٩١١ صدى قوى عميق في سائر أنحاء فييتنام . بيد أن المناضل الوطني « فان شوترينه » الذي كانت « عصابة الدفاع عن حقوق الإنسان » قد تمكنت من حمل سلطات الأمن على إطلاق سراحه من غياهب السجن ، كان قد رحل إلى فرنسا . ورأى « ثانه » أن يقتنى أثره ، ويزور بلاداً أخرى . وجعل همه الأول أن يدرب نفسه على قوة الملاحظة ، والفهم السليم قبل أن يتخذ أى قرار . كان يتجاهل نزوات الشباب ، وكانت الحماسة تقترن في نفسه بالصبر ، والدعة ، والهدوء . وكان يقلب الأمور على كل جوانبها ، ويحسب حساب كل شيء قبل أن يقرر شيئاً ، ذلك أنه فطر على التأمل الطويل ، والتفكير العميق .

بيد أن السفر إلى فرنسا لم يكن يسيراً ، إذ كان عليه أن يذهب ، باديء ذي بدء إلى سايجون حيث التحق بالمدرسة الصناعية الواقعة بين السوقين البخديدة والقديمة ، على مقربة من معبد « شتيس » . وكانت تلك المدرسة تعد طلبتها للعمل في الملاحة البحرية وفي الترسانة .

وبعد أن أمضى « ثانه » ثلاثة أشهر فقط في المدرسة لم يتعلم خلالها شيئاً يذكر عن آلات السفن ومحركاتها ، استطاع أن ينضم كمساعد طاه إلى طاقم الباخرة « لاتوش تريفي » التي كانت تقوم برحلات بين مينائى هايفونج ومرسيليا وسافر دون أن ينبس بحرف لأحد !

وكان حافزه إلى السفر أنه لم يستطع أن يتحمل الأوضاع الاستعمارية في بلاده ، وأنه كان يشعر برغبة عارمة في تمكين شخصيته من الاحتكاك بالثقافات الأجنبية .

وهكذا بدأ حياة جديدة هي حياة عامل يقوم بأعمال مرهقة ، ويواجه ألواناً من التجارب المريرة ، والشدائد ، والحن

ولكن العمل كـ « مرمطون » على باخرة فرنسية ثقل عدداً غير قليل من الموظفين الاستعماريين لم يكن الوسيلة التي تتيح له إعادة النظر في

الرأى الذى كان قد كونه عن المجتمع الفرنسى !
 لقد أنفق عامين على ظهر تلك الباخرة التى حملته ، وهو يتصيب
 عرقاً ، ويكاد يقتله الإرهاق ، إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط ،
 والموانئ الإفريقية الرئيسية : وهران ، ودكار ، وبور سعيد ، والإسكندرية ،
 حيث وقف على أوضاع سياسية واقتصادية شديدة الشبه بالأوضاع فى
 بلاده . وجمع المواد التى مكنته من وضع كتابه الأول « قضية الاستعمار
 الفرنسى » .

وعندما رست الباخرة « لاتوش تريفي » فى ميناء مرسيليا سمع الناس
 ينادونه « مسيو » لأول مرة فى حياته . . . !
 ولكنه لاحظ . فى الوقت نفسه ، أن فى هذه البلاد المتحضرة فقراء ،
 وعاطلين ، وبائعات هوى ، على نحو ما كانت الحال فى فييتنام .
 ومن مرسيليا سافر إلى ميناء الهافر حيث عمل مخادماً عند أسرة فرنسية
 فترة من الزمن ، ثم انضم كـ « جرسون » إلى طاقم باخرة قامت برحلة طويلة
 مرت خلالها بكثير من البلاد الإفريقية ، ومن ثم استطاع أن يعرف
 الشئ الكثير عن الأحوال فى المستعمرات الفرنسية . فمن أسبانيا إلى البرتغال ،
 إلى الجزائر وتونس ، وبلاد إفريقيا الشرقية ، والكونجو . . .
 كان يلاحظ فى كل مكان زاره الشعوب تن تحت نير الاستعمار ،
 وتلقى من السلطات الاستعمارية معاملة ملؤها القسوة والوحشية ، والواقع
 أن ما ماسمعه وشاهده خلال تلك الرحلة الطويلة أتاح له فيما بعد الحجج
 المادية المفحمة التى مكنته من توجيه سلسلة من الاتهامات الخطيرة إلى
 الاستعمار .

وما أن انتهت تلك الرحلة حتى سافر إلى لندن حيث عمل كاسحاً
 للجليد فى إحدى المدارس ، و « عطشجيا » فى إحدى الورش ،
 ثم « مرمطوناً » فى فندق كارلتون مع الطاهى الشهير « إسكوفيه » .
 وعلى الرغم من قسوة الظروف التى كان يعيش فيها ، والأعمال

المرهقة التي كانت تسند إليه ، فإنه لم يكف عن الدراسة . والتهام كل ما يصادفه من كتب ، وقراءة الصحف بدقة وعناية . رغبة منه في الوقوف على آخر الأنباء عن تطور الموقف في بلاده ، والتردد على الدوائر « الفابية » (١) الاشتراكية حيث كون فكرة دقيقة عن معنى الثورة .

وفي الوقت نفسه أثار نضال الشعب الأيرلندي في سبيل التحرر والاستقلال اهتمام الرأي العام العالمي ، وكان مما أثر في نفس « ثانه » أعمق تأثير إضراب الزعيم الإيرلندي « كوك » عن الطعام أربعين يوماً احتجاجاً على اعتقاله والزج به في زنزانة أحد السجون .

وحين اندلع لهيب الحرب العالمية الأولى سافر إلى باريس . وزار عدة مدن أخرى في فرنسا حيث وقف على معلومات مفصلة دقيقة عن الأساليب التي كان يتبعها الاستعماريون الفرنسيون في الهند الصينية إبان الحرب ، وعن الحياة القاسية التي كان يحياها العمال الفرنسيون في ذلك الوقت ، وعن حياة الجنود الفيتناميين في فرنسا .

ثم غادر فرنسا إلى أمريكا ليدرس مقومات المجتمع ، وأساليب الحياة ، والمنظمات السياسية في تلك البلاد الواقعة على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي . وهناك عرف أمراض الرأسمالية الأمريكية ، ووقف بنفسه على وحشية رجال المنظمة اليمينية العنصرية المعروفة باسم « كلوكوكس كلان » ، وشاهد بعينه البيض يذبحون الزنوج في وضوح النهار بلا شفقة أو رحمة ، ورأى العمال الأمريكيين ينظمون الإضرابات احتجاجاً على الحرب ، وللمطالبة بزيادة الأجور .

وبعد أن زار كل تلك البلدان استخلص من مشاهداته ، واتصالاته الشخصية ، نتيجة كبرى هي أن الاستعمار هو هو في كل مكان ، أيا كانت جنسيته ، وأنه لا يدخر سعيّاً في سبيل استغلال الطبقة العاملة

(١) الفابيون : اشتراكيون معتدلون .

بوسائل أقل ما يمكن أن يقال في وصفها إنها قاسية رهيبة .
وقد نشرت له صحيفة « لومانيتيه » الباريسية في عددها الصادر يوم
أول يونيو سنة ١٩٢٢ فصلاً تحدث فيه عن مشاهداته في تلك البلاد
قائلاً : « لقد أرادت الرأسمالية الاستعمارية أن تغطي بذاعة وبشاعة نظام
الاستغلال القاتل . فخلعت على نفسها شعاراً هو : « الأخوة .
والمساواة » . . . »

وكان « نجوين تات ثانه » قد وطن العزم : عندما رحل إلى الخارج ،
على أن يعرف كيف يعيش الناس في البلاد الأخرى حتى يتسنى له .
عند عودته : أن يساعد بني وطنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولكنه
لم يجد الأخوة أو المساواة في البلاد التي تزعم أنها متحضرة ، بل وجد
الظلم ، والعسف ، والجور التي عرفها في وطنه .

• • •

لقد قام « ثانه » بتلك الرحلة الطويلة ليدرس في كتاب الحياة بحثاً
عن الحقيقة . وتحمل في سبيل ذلك كثيراً من المشقة والإعناء . . .
كان قلبه عامراً بالحماسة ، ولكنه كان صفر اليدين لا يملك عقداً على نقد !
وكان كلما ازداد بعداً عن وطنه ، اشتد تفكيره في مسقط رأسه .
وأخيراً بعد أن رأى نفس الوجه غير الإنساني للاستعمار والإمبريالية ،
ولس ما تنطوي عليه الديمقراطية البورجوازية من رياء ونفاق ، وصل إلى
الحقيقة الكبرى التي كان يبحث عنها .

وحرى بالذكر أنه اتخذ لنفسه خلال تلك الفترة عدة أسماء أخرى
نذكر منها « نجوين أي كوك » ، و « لي ثوي » ، و « قوونج صون نهى »
و « ثاو تشين » و « تونج فان سو » . وكانت صحف الجبهة الديمقراطية
الهند صينية ، التي تصدر باللغة الفرنسية تؤثر أن تسميه « لين » . . .

وأخيراً يسمي نفسه « هوشي منه » وهو الاسم الذي احتفظ به حتى
طواه الموت .

الفصل الرابع

مؤتمر فرساي . .

وبعده الشرارة الأولى . .

لم تكد الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى عاد « نجوين تات ثانه » إلى فرنسا عندما انعقد مؤتمر « فرساي » في الثامن عشر من شهر يناير عام ١٩١٩ . وأصدر الرئيس الأمريكي « وودرو ويلسون » تصريحه المشهور عن شروط الصلح وتقرير المصير . وقد أسرع إلى باريس وقتئذ وفود تمثل عدة بلاد مغلوبة على أمرها نذكر منها أيرلندا ، والهند . والصين ، وكوريا ، والبلاد العربية .

وأصبح صوت الشعب الفيتنامي مسموعاً لأول مرة
وكان الذي أطلق ذلك الصوت هو « نجوين أي كوك » ، الاسم
الجديد الذي اتخذته « ثانه » لنفسه (١)

والواقع أن « نجوين أي كوك » كان الفيتنامي الأول والوحيد الذي وقف في باريس بشجاعة ليقدم مطالب بلاده وهو يواجه الاستعمار الجشع . وقد تقدم بتلك المطالب — بالنيابة عن عدد من المواطنين الفيتناميين — إلى مؤتمر « فرساي » ، والجمعية الوطنية الفرنسية ، والمنظمات الديمقراطية التقدمية الفرنسية ، واستطاع أن ينشرها في صحيفة « لوبييل » — أي الشعب — وهي لسان الحزب الاشتراكي الفرنسي ، كما طبعها في كتيب وزعه على الجنود القادمين من الهند الصينية ، وعلى أفراد الشعب الفرنسي .

(١) أي « نجوين » الوطني .

وكانت قائمة المطالب تتضمن ثمانى نقاط هى :

- ١ - العفو العام عن السجناء السياسيين الفيتناميين .
- ٢ - المساواة فى الحقوق بين الفرنسيين والفيتناميين ، وإلغاء « محكمة الجنايات » ، وهى أداة لاضطهاد الوطنيين الفيتناميين وتعذيبهم .
- ٣ - حرية الصحافة ، وحرية الفكر .
- ٤ - حرية عقد الاجتماعات .
- ٥ - حرية التنقل والسفر إلى الخارج .
- ٦ - حرية الالتحاق بالمدارس ، وفتح مدارس فنية ومهنية لأبناء البلاد .
- ٧ - إحلال القوانين محل المراسم .
- ٨ - تعيين مندوب فيتنامى ليشارك مع الحكومة الفرنسية فى تسوية المسائل المتعلقة بمصالح الشعب الفيتنامى .

ومعروف أن مؤتمر « فرساي » أعار أذناً صماء إلى مطالب وأمنيات المستعمرات . ومما زاد الطين بلة أن الدول الاستعمارية استطاعت أن تهيمن على المؤتمر بسهولة ، ومن ثم سلمت فورموزا وتسنجتاو ، وهما فى صميم الأراضى الصينية ، إلى اليابان التى كانت إذ ذاك دولة استعمارية هى الأخرى . وكان من جراء ذلك المسلك الإجرامى من جانب الدول الاستعمارية أن ثارت ثائرة الشعب الصينى .

ومما لا ريب فيه على الإطلاق أن مؤتمر الصلح فى فرساي لم يكن سوى حلبة للمساومة تقاسمت فيها الدول الاستعمارية الغنائم فيما بينها .

ومع ذلك فقد أدى نشر مطالب الشعب الفيتنامى إلى استنكار عام لسياسة الاستغلال الفرنسية ، وجرائم الاستعماريين الفرنسيين ، وبذلك استطاع الشعب الفرنسى أن يعرف كل الحقائق .

وكانت نتيجة هذا كله أن بدأت الهيئات والمنظمات الديمقراطية الفرنسية ، ومعها الشعب الفرنسى ، تهتم كل الاهتمام بالحركة الثورية الفيتنامية ، وبممثلها المناضل الشجاع « نجوين إى كوك » .

وأدرك « نجوين إى كوك » من جانبه : بطريقة أعمق . أن مواجهة الاستعمار لا يمكن أن تكون قوية فعالة إلا عن طريق النضال الثورى حتى النهاية .

ومنذ ذلك الوقت دخل « نجوين أى كوك » مضمار السياسة ، رافعاً العلم المعادى للاستعمار والإمبريالية .

~ ~ ~

كانت ثورة أكتوبر الروسية قد أرعدت في سنة ١٩١٧ على نطاق واسع جداً ، وأدت إلى إنشاء أول دولة بزعامة الطبقة العاملة ، وكان لنظرية لينين عن المسألة القومية والمسألة الاستعمارية تأثير قوى ، بعيد المدى . ويرجع الفضل إلى « لينين » وإرشاداته وتوجيهاته في إنشاء « الدولية الثالثة » التي قضت على الطابع الخطر لعناصر « الدولية الثانية » في الحركة العمالية الدولية ، مما أدى إلى التعجيل في تأسيس الأحزاب الشيوعية في عدد من البلاد وفي مقدمتها فرنسا التي اشترك في إنشاء حزبها الشيوعي « مارسيل كاشان » و « كوننيرييه » . وقد قام « نجوين » بدور فعال في هذا النضال .

وحين عقد الحزب الاشتراكي الفرنسي مؤتمره في مدينة « تور » بين يومى ٢٥ و ٣٠ ديسمبر من سنة ١٩٢٠ ، أعرب « نجوين » عن ترحيبه الشديد بإنشاء الحزب الشيوعي الفرنسي قائلاً إن هذا الحزب هو الحزب الوحيد الذى صمم على النضال في سبيل تحرير المستعمرات .

وقد انقسم الحزب الاشتراكي الفرنسي في ذلك المؤتمر ، إذ أسهم أغلب الأعضاء في إنشاء الحزب الشيوعي الفرنسي ، وانضم هذا الحزب إلى « الدولية الثالثة » (١) . أما الأقلية فقد احتفظت باسم « الحزب

(١) « الدولية الثالثة » - الكومنترن - أنشئت في موسكو عام ١٩١٩ لنشر المبادئ الاشتراكية الماركسية في العالم .

الاشتراكي « وآثرت الانضمام إلى « الدولية الثانية » .
وعلى هذا النحو كان « نجوين إى كوك » فى مقدمة الذين اشتركوا
فى عضوية الحزب الشيوعى الفرنسى ، وفى الوقت نفسه كان أول فيتنامى
يأخذ بأسباب الشيوعية .

وكان « نجوين » . خلال الفترة التى قضاها فى فرنسا ، يحيا حياة
كلها قسوة ، إذ كان ينفق فترة الصباح فى تحميم الأفلام وتكبير
الصور الفوتوغرافية ليكسب لقمة العيش ، أما بقية النهار فكان يبذل
فيها نشاطاً سياسياً . ويتردد على شتى المنظمات ، ويؤلف الكتب ،
ويكتب المقالات للصحف . ويناضل نضالاً مريراً من أجل الشعوب
التي كانت تعاني الأمرين من الاستعمار .

وقد وفق خلال سنة ١٩٢١ ، بمساعدة الحزب الشيوعى الفرنسى ،
إلى تكوين « عصابة البلاد الخاضعة للاستعمار » فى « باريس » ، التي
شملت كل الحركات الثورية فى المستعمرات الفرنسية . وكتب « نجوين »
منشور العصابة الذى تضمن نداء إلى الشعوب المغلوبة على أمرها هذا نصه :
« تطبيقاً للمبادئ الماركسية ، يجب على الشعوب أن تحرر نفسها .
إن الغرض من تكوين « عصابة البلاد الخاضعة للاستعمار » بمساعدة
الرفاق الذين يتعاطفون مع أمانينا ، هو مساعدتكم على أن تحرروا
أنفسكم بأنفسكم . إن « العصابة » تضم ممثلى الشعوب الخاضعة للاستعمار
الذين يدركون الحاجة إلى الثورة ، والذين يقيمون فى فرنسا » .

وقد انتخبت « العصابة » لجنة تنفيذية ، وأصدرت صحيفة أسبوعية
أسمتها « لا باريا » ، وكان « نجوين » يديرها ، ويشرف على تحريرها ،
ويدون حساباتها ، ويشارك بنفسه فى توزيعها !

ونجحت « العصابة » وصحيفتها « لا باريا » بكشفهما النقاب عن كل
دقائق وتفاصيل الأعمال الاستغلالية التي كان يضطلع بها الاستعمار
الفرنسى ، فى الظفر بتأييد العمال الفرنسيين ، وجانب كبير من الشعب

الفرنسي نفسه ، وفي إحياء وتعزيز الضمير السياسي لشعوب المستعمرات الفرنسية .

وكان لصحيفة « لا باريا » أثر قوى في تعبئة شعب فييتنام ، وفي لم شمل الفيتناميين المقيمين في فرنسا بعد أن كانوا مشتتين ، وأدى ذلك إلى تكوين عدة جمعيات فييتنامية في فرنسا ، نذكر منها « جمعية الطهارة والبحرسونات » و « جمعية الصداقة » و « جمعية التعاون المتبادل » .
وشرع آنشد البحارة الفيتناميون والفرنسيون يحملون أعداد صحيفة « لا باريا » سراً إلى الهند الصينية حيث تعاظم نفوذها بسرعة مذهلة .
ويمكن أن يقال إن الشعب الفيتنامي حصل على الجانب الأكبر من معلوماته عن الاتحاد السوفيتي والماركسية اللينينية عن طريق تلك الصحيفة .

وكانت العناصر التقدمية في الطبقة العاملة التي ناصبت الاستعمار الفرنسي العداء ، تتلهف على التهام مواد الصحيفة ، والتعليق على ما فيها من مقالات وأبحاث وتحقيقات .
ولم يلبث اسم « نجوين أي كوك » أن أصبح قوة محركة حافزة دافعة ، وعلماً يسير خلفه الفيتناميون وكلهم ثقة في قدرتهم على النضال المجدى .

وقد أضاف « نجوين أي كوك » في المقالات التي كان ينشرها في « لا باريا » ولا سيما في كتابه « قضية الاستعمار الفرنسي » ، اللثام عن جرائم الاستعماريين الفرنسيين ، بعيد من الحجج القوية الدامغة ، والوثائق المثيرة التي تحض القراء على العمل .
وفضح « نجوين » جرائم الاستعمار في القارة الإفريقية بمقالات مستفيضة نجتزئ منها بما يلي :

« أصيبت إحدى المناطق الإفريقية بمجاعة ، ورأى الأهالي أنفسهم مكرهين على أكل الحشائش وجذور النباتات ، وكان أرباب الأسر

يموتون الواحد بعد الآخر لأنهم حرّموا أنفسهم من الأكل حتى يوفروه لأولادهم . وكان الأطفال يرضعون من أثداء أمهاتهم دون جدوى من جراء جفافها . ومع ذلك فقد كان الأهالي يضطرون إلى دفع الضرائب للحكومة : وإذا عجزوا عن ذلك عوملوا بقسوة ووحشية حتى يتنازلوا عن بيوتهم وأراضيهم وحدائقهم ، ويفروا إلى المناطق الجبلية والاختفاء في المغارات فما كان من الحكومة إلا أن عمدت إلى سد فتحات المغارات بأغصان الأشجار وملء المغارات نفسها بالدخان ليموت هؤلاء الناس محتنقين »

وكتب فصلاً عن العذاب الذي يعاني منه الزوج الأمريكيون الأمريين . قال فيه :

« معروف كل المعرفة أن الجنس الأسود في مقدمة أجناس الأسرة البشرية التي تعيش في جو كله ضغط واستغلال . ومعروف كل المعرفة أن انتشار الرأسمالية واكتشاف العالم الجديد « أمريكا » أديا إلى نتيجة مباشرة هي بعث الرق والعبودية . . . وهو أمر يندى له جبين الإنسانية . ورأى « نجوين » أن يفضح جرائم الاستعماريين الفرنسيين وأذنانهم في فييتنام آنذ . فكتب يقول ، بعبارات ملؤها الإلحاح :

« من الخطأ أن يقال إن الهند الصينية ، التي يبلغ تعداد سكانها عشرين مليوناً من الأهالي الذين يعانون بشدة من الاستغلال ، أصبحت مستعدة للثورة ، ولكن من الخطأ كذلك أن يقال إن الهند الصينية ترغب عن الثورة ، وإنها راضية بالنظام الذي وضعه الاستعماريون وجلاذوهم . » وأضاف : « الحقيقة هي أن شعب الهند الصينية لا يملك وسيلة واحدة للعمل . أو للعلم والمعرفة ، فالصحافة ، والاجتماعات والجمعيات ، والتنقل ، كلها يحرمها القانون . . . وامتلاك صحف أو مجلات تتضمن أفكاراً تقدمية بعض الشيء ، أو حمل صحيفة الطبقة العاملة الفرنسية ، يعد جريمة . والصحف الرجعية التي تصدرها السلطات تكمل

— مع الحمر والأفيون — إجراءات التعويق التي تتخذها الحكومة . كذلك تستخدم السجون والمقاصل لمحاولة القضاء على الأفكار الثورية . »
ويقول : « والمعتقد أن هذا القطيع البشرى المسمم أخلاقيا وبدنياً يمكن أن يظل . إلى الأبد ، ضحية للرأسمالية . . . ولكن . . . كلا . . . إن شعب الهند الصينية لم يمت ، بل هو حي يرزق . وسيظل حيا يرزق إلى ما لا نهاية . . . ذلك أن عملية التسميم المنتظمة التي تعتمد إليها العصابة الرأسمالية الاستعمارية لا يمكن أن تشل حيوية شعب الهند الصينية وتفكيره الثوري . إن الرياح التي تهب من روسيا التي أصبحت بلد العمال . ومن الصين الثورية ، والهند المناضلة ، هي بمثابة ترياق يزيل كل أثر للسم في الهند الصينية . إن أهالي تلك البلاد لا يتعلمون بواسطة الكتب والخطب ، ولكنهم يتلقون العلم بوسائل أخرى . . . إن أساتذتهم الوحيدين هم الفقر ، والقمع الحمجى ، والآلام . »

كذلك يقول : « إذا غض الاشتراكيون الطرف عن التعليم ، فإن الرأسماليين الاستعماريين ، والبورجوازيين المحليين ، وكبار الموظفين الخونة ، سيمضون في هذا السبيل بوسائلهم الخاصة . لقد سجل شعب الهند الصينية تقدماً يدخل في عداد المعجزات ، وسيبرهن ، في أول فرصة تسنح له ، على أنه جدير بأساتذته . فهو وإن كان يبدو سلبيا في مظهره ، فإن نفوس أفراده مفعمة بقوة كبيرة ستنفجر بعنف عندما تحين الفرصة . وعلى الطلائع أن تهيب الجحود لهذه الفرصة في أقرب وقت . لقد مهدت الجرائم الاستعمارية التربة ، ولم يبق أمام الاشتراكيين إلا أن يبدروا البذرة الثورية . »

ولم يكتف « نجوين » بتوجيه أقوى وأخطر الاتهامات إلى الاستعمار ، بل صب جام غضبه كذلك على الإقطاعيين ، والخونة الذين يستخدمهم الاستعمار كجلادين في المستعمرات .

وحين زار « نغاي دينه » إمبراطور الهند الصينية فرنسا خلال تلك

الفترة : وقضى ساعات في زيارة معرض مرسيليا ، كتب « نجوين » مسرحية صغيرة بعنوان « التين المصنوع من الخيزران » ، كما كتب عدة مقالات فضح بها طبيعة تلك الدمية المتعقنة الفاسدة .

ثم بعث إلى الإمبراطور برسائل ملؤها السخرية اللاذعة قال فيها :
« إلى جانب بضعة جياذ في ميدان السباق بلونشان ، والفتيات
الحميلات في الأوبرا . . . هل رأيت شيئاً من الأرض الفرنسية الساحرة
أثناء رحلتك الدراسية ؟ »

« هل لمست مدى تعلق الشعب الفرنسي بالعدالة ، والحرية والعمل ؟
هل لمست مشاعر الأخوة التي تنطوي عليها نفوس الفرنسيين ، وحبهم
الشديد للسلام ؟ . . . هذا الشعب الذي قام بثورة ليتحرر ، وحرر نفسه
من نير الملوك ليصبح هو سيداً ! »

« ماذا رأيت غير المقالات التي عقدها الكتاب المأجورون لإغراقك
بعبارات الإطراء والمديح ؟ . وماذا سمعت غير الخطب التي ألقىت تحية
لك وتكريماً ؟ هل تحدث إليك أحد عن باستير ، وفيكتور هوجو ،
وأناتول فرانس ؟ هل سمعت عن تصريح حقوق الإنسان والمواطن ؟ هل
رويت لك قصة الثورة الخالدة ؟ »

« بعد الانفعالات العنيفة التي انتابتك أثناء العرض العسكري غير
المؤذى الذي اشتركت فيه الدبابات والمدافع الضخمة ، غزا الحنين قلبك
فقررت العودة إلى الوطن ! »

* * *

وفي شهر يونيو من عام ١٩٢٣ وصل « نجوين » إلى موسكو ليشترك
في « المؤتمر الدولي للفلاحين » الذي عقد يوم ١٦ أكتوبر ، وانتخب
عضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر ممثلاً للفلاحين في المستعمرات . وقد
ترجم إلى اللغة الفيتنامية المنشور الذي أصدره المؤتمر ، وبعث بالترجمة
إلى مواطنيه الفلاحين الفيتناميين .

وعلى أثر وفاة « لينين » عقدت « الدولية الشيوعية » مؤتمرها الخامس في موسكو . وظل المؤتمر منعقدًا من يوم ١٧ مايو حتى يوم ٨ يوليو من سنة ١٩٢٤ . وحضر « نجوين » ذلك المؤتمر بوصفه ممثلًا للحزب الشيوعي الفرنسي ، والبلاد الراضحة تحت نير الاستعمار .

وقد أدلى في ذلك المؤتمر ببيان ندد فيه بسياسة الاستغلال والضغط العنيف الوحشي التي تطبق على الفلاحين في المستعمرات ، وبسط مقترحات إيجابية فعالة تدور حول المسألة الاستعمارية . واختتم بيانه قائلا :

« الفقر والجوع يتزايدان في كل المستعمرات الفرنسية ، والغضب والحقد يغليان . والأوضاع السائدة في صفوف فلاحى المستعمرات أصبحت مهيأة للثورة . لقد هب الفلاحون في عديد من المستعمرات ثائرين في كثير من المناسبات : بيد أن ثوراتهم أخذت بعد أن سالت الدماء غزيرة . ولئن كان الفلاحون يلزمون الصمت ، فإن مرجع ذلك إلى أنهم يفتقرون إلى التنظيم ، وإلى قادة وزعماء . وواجب " الدولية الثالثة " أن تساعد على أن ينظموا أنفسهم ، وأن تمدهم بما هم في حاجة إليه من " كادرات (١) " . وترشدهم إلى الثورة : وإلى التحرر » .

« « «

كان « نجوين » قد أدرك بوضوح منذ أمد بعيد ، الدور الذى يقوم به الفلاحون في البلاد الخاضعة للاستعمار ، وهى بلاد زراعية كانت متخلفة إلى أبعد حد عن ركب الحضارة . ولهذا السبب جعل كل همه أن يلح على « الحزب الشيوعي » فى أن ينظم صفوف الفلاحين ، ويتولى قيادتهم قائلا إن ذلك عامل حاسم لنجاح الثورة فى البلاد . ولقد كتب « نجوين » ، أثناء إقامته القصيرة فى الاتحاد السوفيتى ، مقالات عديدة نشرتها له الصحف ، وقاض ذهنه الجبار بكتابين هما

(١) « الكادر » - Cadre - هو الموجه والمرشد السياسى .

، الصين والشباب الصينى « و « الجنس الأسود » . وقد ندد فيهما بالنظام الإمبريالى الفوار بالقسوة والجور ، وكشف النقاب عما يعاينه أهالى المستعمرات من ظلم ، وبؤس ، وشقاء .
والواقع أن الطريق السياسى الذى سلكه « نجوين » كان مكوناً من عدة مراحل :

فقد بدأ بالوطنية الصادقة الخالصة ، ومنها انتقل إلى الاشتراكية ، فالدولية البروليتارية ، وأخيراً بلغ اللينينية .
ولقد كتب فيما بعد فصلاً بعنوان « الطريق المؤدى إلى اللينينية » قال فيه ما يأتى :

« فى بداية الأمر جعلتني الوطنية — لا الشيوعية — أضع ثقى فى اللينينية و « الدولية الثالثة » . ثم أدركت ، تدريجياً ، أثناء النضال ، بعد أن درست الماركسية اللينينية وطبقتها ، أن تحرير الأمم المغلوبة على أمرها والشعوب الكادحة فى سائر أنحاء العالم من العبودية لا يمكن أن يتحقق إلا بالاشتراكية والشيوعية » .

ولقد أثبت « نجوين » ، بما بذله من جهود عملية مثمرة ، أنه مناضل بارز فى الحركة الثورية الدولية ، إذ لم يقتصر اهتمامه على إنقاذ الشعب الفيتنامى من البؤس ، بل امتد إلى الشعوب الأخرى التى أذاقها الاستعمار ألواناً من البؤس والذل والعبودية .

ولا ريب فى أن مؤلفاته ومقالاته تعد أحكاماً غاية فى القوة والبراعة ضد الأمبريالية ككل ، ودروساً ملهمة كان لها أعمق الأثر فى نفوس شعوب المستعمرات .

ولا يرجع احترام الشعوب الآسيوية والإفريقية لـ « نجون » الذى أصبح اسمه بعد ذلك « هوشى منه » إلى أنه وفق فى توفير الحوافز التى دفعت الشعب الفيتنامى إلى الثورة ، وإلى شن « حرب المقاومة » التى أصبحت

حديث الناس في كل مكان ، والتي حطمت جانباً من الصرح الاستعماري
وفتحت جبهة في مؤخرة الإمبريالية : بل يرجع كذلك إلى النشاط الجم
الذي بذله فيما نظمه من حركة نضالية واسعة للأخذ بيد الشعوب المهينة
الأجنبية ، معتبراً نفسه واحداً من أفرادها ، وزميلاً لكل من كافح
في سبيل انتشالها من حياة الضيم التي فرضها عليها الاستعمار عنوة
واقتراراً .

الفصل الخامس

في باريس

إن الأعوام الخمسة التي قضاها « نجوين أي كوك » في باريس ملأت نفسه بالتبرم ، وأوغرت صدره غيظاً من فرنسا ، ولكنها - في الوقت نفسه - ربطته مع تلك البلاد بصلات قوية دامت حتى طواه الموت (١) . . .

لقد ذاق هناك طعم الفقر المدقع ، وعرف قيمة الصداقة والأخوة ، وعانى من المضايقات السياسية ، وأفاد من المواجهات السياسية ، واكتشف حضارة رأى لزماً عليه أن يدرس أبعادها ، ويفضي إلى حقيقة مقوماتها . . . وتعلم كيف يعيش في صميم الحياة ، ومن ثم عرف أهمية الاشتغال بالسياسة ، وأدرك قيمة الثورة .

كان يقوم بأعمال بسيطة مختلفة ، منها « الرتوش » الفوتوغرافي في الغرفة المتواضعة التي كان يتقاسمها مع صديقه « فان فان تروونج » ، بمبنى قديم في شارع « جوبلان » رقم ٦ ، ثم في الغرفة التي كان يعيش فيها مع عدد من مواطنيه بحارة كومبوان رقم ٩ .

وقد نشرت صحيفة « في أوفريير » أي الحياة العمالية ، في ذلك الوقت ، إعلاناً صغيراً هذا نصه : « إذا أردت الاحتفاظ بتذكاري حتى لذويك فاعهد بما لديك من صور إلى نجوين أي كوك لكي يجعلها دقيقة

(١) راجع كتاب « هوشي منه » تأليف « جان لاكوتير » ص ١٧ والصفحات التالية .

بالتوش . . . صورة جميلة ، وإطار جميل بخمسة وأربعين فرنكاً ! .
يبد أن ذلك الإعلان لم يعد عليه بفائدة تذكر ، ومن ثم ظل لا يملك
عقداً على نقد . . .

ولكن ما أهمية ذلك بالنسبة لشاب نذر حياته للعمل الوطني : ووطن
نفسه على إنقاذ بلاده من ذل الاستعمار ؟

لقد أتاح له ذلك متسعاً من الوقت للتردد على الدوائر السياسية .
وإقناع عدد من الفيتناميين المتبرمين بالأوضاع في بلادهم بالالتفاف
حوله ، ودراسة الاشتراكية ، والقراءة ، والكتابة .

وقد تم أول اتصالاته السياسية في مكتبة صغيرة كان يملكها مناضل
يدعى « هاسفيلد » . ويقال إن الروائي العملاق ليون تولوستوى كان يتردد
على تلك المكتبة .

وفي تلك المكتبة تعرف على عدد من كبار النقابيين الثوريين مثل
« مونات » و « بورديرون » ، وبعض الداعين إلى السلام مثل « مارسيل
كابي » .

ورحب به « فيان كوتيرييه » ، رئيس تحرير صحيفة « لومانيتيه » ،
لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي ، ونشر له بضعة فصول تحت
عنوان « ذكريات منى » ، ودعاه « جان لونجيه » ، حفيد كارل ماركس
للكتابة في صحيفة « لوبويلير » ، ولم يلبث أن انضم آنثد إلى « رابطة الشباب
الاشتراكي » .

وحدث في سنة ١٩٥٣ أن نشرت إحدى المجلات الفرنسية المناهضة
للشيوعية فصلاً بعنوان « هوشى منه . . . اللغز » كتبه فيتنامى يدعى
« هوفان تاو » كان يعرف أشياء كثيرة عن حياة « نجوين » في باريس ،
وكان دائم النقد لمسلكه السياسى .

واستهل « هوفان تاو » فصله قائلاً : « كان هوشى منه إذ ذاك في
شبه الظل ، ولم يكن يرى إلا متأبطاً كتاباً . . . وكان شديد الاهتمام بقراءة

مؤلفات إميل زولا ، وأاناتول فرانس . وشكسبير . وتشارلز ديكنز ،
وفكتور هوجو : ورومان رولان . وكانت تربطه صداقة قوية بمناضل نقابى
فوضوى يدعى « جول رافو » قدم من سويسرا حيث كان قد عمل مع لينين
وزينوفيف . . . ومن ثم كان بالنسبة لـ « نجوين » مصدراً لا ينفد
للمعلومات ، والدراسات ، والنصائح ، والنكت . . .

وظل « رافو » فترة من الزمن يعاون « نجوين » ويرشده ، ويوجهه ،
ويقدمه إلى المناضلين الثوريين . وكبار المفكرين التقدميين ، ومكنه
من الاتصال بصحيفة « لافى أوفريير » ذات التقاليد الثورية الحية .
ثم قال « هوفان تاو » :

« لم يكن يكسب لقمة العيش إلا بشق النفس . . . كان ضعيف
البنية . قصير القامة ، ذا وجه معبر ، ونظرات هادئة تتجلى فيها تلك
الشعلة التى تضىء عادة أعين أولئك الذين تستهويهم فكرة . . . إنه شاب
شديد الحساسية ، سريع التأثير . »

وكان من أثر انضمامه إلى عضوية « رابطة الشباب الاشتراكي » ،
وتعاونه مع « لوبوبيلير » و « لومانيتيه » ومجلة « لافى أوفريير » ،
وحواره مع رئيس تحريرها « جاستون مونموسو » ذلك النقابى الفوضوى الذى
كان يسدى إليه النصائح الصحفية . . . كان من أثر هذا كله أن اتصل
به « فويوفتش » أحد أعضاء جهاز « الدولية الثالثة » ، وكان لذلك اللقاء
تأثير قوى فى شخصية « نجوين » ، لأنه طفق بعدئذ يفكر فى نصائح
« فويوفتش » كلما أراد أن يتخذ قراراً .

وفى إحدى أمسيات سنة ١٩٢٠ كان الكاتب اليابانى الشاب
« كيوكوماتسو » يحضر اجتماعاً فى قاعة « واجرام » . . . وإذا به يفاجأ
بشخص يربت على كتفه ويسأله :

— هل أنت صينى أم من الهند الصينية ؟

فأجابه : « بل أنا يابانى » .

وبعد أن أصغيا باهتمام إلى خطاب لـ «مارسيل كاشان» التقيا في أقرب مقهى ، وراح «نجوين» يتحدث في قوة واندفاع عن الآلام التي يعانيها وطنه ، ثم التقيا مرات أخرى ، بل شوهدا يسيران في شوارع باريس لا يلويان على شيء . ويتحدثان عن مستقبل آسيا ومصيرها .

وبعد بضعة أشهر توجه ضابط البوليس الكبير «أرنو» الذي كان مشرفاً على رعايا الهند الصينية في باريس ، إلى إحدى القاعات ليستمع إلى محاضرة للأستاذ «فيليسيان شالي» الذي قرر ، بعد رحلة إلى الشرق الأقصى ، أن يبذل قصارى جهده للدفاع عن حق الهند الصينية في التحرر والاستقلال . ولمح «أرنو» عند مدخل القاعة شاباً ذا جبهة ضخمة ، وحركات عصبية ، يوزع منشورات تتضمن حملة غاية في العنف على الاستعمار ، وكان قد سمع أناساً يتحدثون عن «نجوين أي كوك» ، فلما قال له أحد مساعديه إن هذا الشاب الثائر هو «نجوين» نفسه ، طلب أن يلتقي به . . .

والتقى رجل البوليس والشاب الثوري في مناسبات عديدة خلال عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ .

ولئن لم يعرف أحد شيئاً عن رأى الشاب في رجل البوليس ، فإن «أرنو» كان يتحدث دائماً في لهجة لا تخلو من الإعجاب عن ذلك الشاب الثائر المتحمس الذي كان يتحدث إليه عن قريته ، وأسرته ، ووطنه ، ويقول له بعبارات ملؤها التأثير إن أباه «نجوين سينه هوى» ذاق صنوفاً من الظلم والعسف ، ثم يرميه بنظرة نارية ويسأله «كيف تريد أن أغفر لفرنسا جرائم كهذه ؟» .

وقال «أرنو» بعدئذ لـ «البيرسارو» وزير المستعمرات :

— يجب أن تتعرف على هذا الرجل .

فقال الوزير الذي لم يقتنع برأى رجل البوليس :

— إن «نجوين أي كوك» لا وجود له . . .

ثم أضاف بلهجة ملؤها الغضب :

— إنه مجرد اسم مستعار اتخذته « فان شوترينه » لنفسه .

ولكن مدير مكتب وزير المستعمرات قرر ، بعد تردد طويل ، أن يستقبل « نجوين » لكي يتأكد من شخصيته . وقد اغتم رجال البوليس تلك الفرصة فالتقطوا لـ « نجوين » صورة احتفظوا بها طويلاً في سجلاتهم وهو يبدو فيها هش القوام ، يتحرك في غير اتزان . وقد وضع قبعة صغيرة على سمت رأسه . إن من يراه في تلك الصورة يخيل إليه أنه أشبه بشخص فقد شيئاً وراح يبحث عنه في غير مبالاة تذكر

وهنا نترك الكلمة لصديقه ورفيق شبابه « بوى لام » :

نشأت في ضاحية « كام » بميناء هايفونج التي كان معظم سكانها من البحارة الذين سافروا كثيراً ، وزاروا بلاداً عديدة ، وتضاعف عداؤهم للاستعمار من جراء العنف الذي كانوا يعانونه على أيدي الاستعماريين ، وكنت ، أنا بدوري ، أمقت الاستعمار ، وأهوى السفر منذ صغرى .

وعند ما بلغت الخامسة عشرة انضمت كبهار إلى طاقم باخرة بضائع كانت مبحرة إلى فرنسا . وقد تنفست الصعداء عند ما رفعت الباخرة « الهيلب » — كما يقول الفرنسيون — وتوغلت في المحيط أخيراً انتهت حياة البؤس والذل . ! لقد سافرت دون أمل في العودة !

وفي مرسيليا ألفت نفسي في جو ملؤه الثورة كان ذلك خلال الأيام الأخيرة من عام ١٩١٩ . وكان الناس ما يرحوا يتحدثون عن حركة التمرد التي حدثت في البحر الأسود قبل زهاء عام ، وكأنها لم تحدث إلا قبل أربع وعشرين ساعة فقط ! لقد انفعلت لقصة أولئك البحارة الفرنسيين الذين رفعوا العلم الأحمر تحية منهم للثورة البروليتارية وكان من أثر ذلك أن استشاط « كليمنصو » رئيس الوزارة الفرنسية آنئذ ، غضباً ، وقرر تطهير الأسطول الفرنسي من أمثال أولئك المتمردين ، فما كان منهم إلا أن التحقوا بالسفن التجارية

واكتشفت في ذلك الوقت الثورة الاشتراكية ، ولينين . وقوة البروليتارية ووجدت نفسي - بطبيعة الحال - مهتما كل الاهتمام بالاتحاد السوفيتي . ثم كان هناك حدث آخر أثر في نفسي ومجرى حياتي كل التأثير حقا لقد حدثت في ذلك العام أمور ذات بال ! .

في شهر يونيو بينما كان الأمبريالون يتقاسمون الكعكة الاستعمارية حول مائدة المفاوضات في فرساي ، ظهر فييتنامي يدعى « نجوين أي كوك » ليطالب ، دون صياح ، بحق تقرير المصير لفيتنام كان لذلك وقع الصاعقة في نفوس الاستعماريين أما بالنسبة إلينا فإن الحركة التي قام بها هذا الفيتنامي كانت أشبه برعد الربيع الذي تعقبه الأمطار اللازمة لنمو البذور ! .

لقد فرحنا فرحاً لا يمكن وصفه إن كل فييتنامي غادر بلاده سعياً وراء لقمة العيش كان وطنياً صادقاً يتطلع إلى الاستقلال والحرية بيد أن ما فعله « نجوين أي كوك » في باريس كان عملاً عظيماً حقا لقد رفع الناس قبعاتهم احتراماً له لأنه أصر على أن يسترد الشعب الفيتنامي حقوقه السلبية ، وأصبح اسمه على لسان كل فييتنامي

. وبعد أن قمت بعدة رحلات بحرية عدت إلى مرسيليا في شهر يوليو من عام ١٩٢٢ وكان من حسن حظي أن أعطاني نقابي فرنسي بضعة أعداد من صحيفة « لا باريا » التي كان يصدرها « نجوين أي كوك » . التهمت تلك الأعداد جميعاً ، ثم أعطيتها لرفائي حتى يفيدوا هم أيضاً منها .

لقد انفعلنا لتلك المقالات القصيرة أيما انفعال ، وكانت أعيننا تغرورق بالدموع ونحن نقرأها كان « نجوين » يدفعنا إلى العمل دفعاً ، ويحثنا على النضال ، ولكننا لم نكن ندري كيف نفعل ذلك . وفجأة قررنا أن نلتقي به ووقع اختيار الرفاق على أنا لا نكون رسولهم إليه .

سافرت إلى باريس على الفور ، واتجهت إلى « سوق البطارقة »

فى الحى السادس : ودخلت مكتب صحيفه «لاباريا» ، وانتظرت . . .
انتظرت طويلا . وعند ما يئست من وصول «نجوين أى كوك» سألت
اثنين من الإفريقيين ، كانا يعملان فى المكتب عن عنوانه ، فذكر لى أنه
رقم ٦ بشارع جوبلان ، فى الحى الثالث عشر . وذهبت إلى هناك
وقلبى ينبض بشدة . ما هى طلعة «نجوين أى كوك» ؟ وكيف
سيستقبلنى ؟

ورفعت يدى ، وطرقت الباب . . . ثم سمعت وقع خطوات تدنو
. . . وفتح الباب : فألفيت نفسى واقفاً أمام رجل تراوح سنه بين
الثلاثين والثانية والثلاثين . نحيف القوام ، وعلى وجهه ابتسامة هادئة .
وسألنى :

— من الشخص الذى تبحث عنه ؟

— إنى أبحث عن . . . مسيو نجوين أى كوك .

— أنا نجوين . . . ادخل !

وهكذا واجهت «نجوين أى كوك» للمرة الأولى فى حياتى ، وكنت
آنئذ شاباً فى العشرين من عمرى . . . وأذكر أننى تسمرت فى مكانى
لحظات ، ورحت أدقق النظر فيه لأعرف ما إذا كان هذا الرجل الذى فتح
لى الباب ، والذى قدم لى نفسه ، هو «نجوين» حقاً . . .

وسرت خلفه إلى غرفته ، بعد أن زال كل أثر لاضطرابى ، واستعدت
هدوئى . . . كانت شقة لشخص واحد ، مؤثثة بطريقة غاية فى التواضع
. . . فى ركن من الغرفة منضدة تختفى تحت أكوام من الكتب ، والصحف
والمجلات . وبالقرب منها سرير من الحديد ، ودولاب صغير . . .
لا شىء غير هذا . . . ولكنها كانت نظيفة ، ومريحة . . .

وسألنى «نجوين أى كوك» عن مسقط رأسى ، والسبب الذى
دعانى إلى الحجى ، والرحلات التى قمت بها على ظهر السفينة ، وأحوالى
المعيشية . . . وعندئذ فقط عرفت أنه كان بحاراً ، وأنه يعرف كل شىء عن

المهنة . وقد أبدى اهتماماً خاصاً بمعرفة أحوال البلاد التي زرتها . ثم دار الحديث حول بلادنا ، وحين عرف أنني كنت في سايجون سألني طويلاً عن المدينة والسوق وأماكن أخرى ، وكان يصغي إلى في اهتمام شديد . ويبدو عليه التفكير العميق .

وانطوى الوقت بسرعة مذهلة . واضطريت إلى استئذانه في الرحيل إذ كانت الساعة قد بلغت التاسعة مساءً . فرجائي أن أعود في اليوم التالي . . . صباح الأحد .

وعدت إلى الفندق ، وتمددت على الفراش ، وظللت أفكر طويلاً . . . إن الشهرة لم تؤثر في « نجوين » على الإطلاق . فلقد بقي بسيطاً ، لا يعرف الكلفة ، وظل حريصاً على أن يكون لطيف المعشر ، ودوداً .

. . . . وبعد ذلك اللقاء الأول رأيت نفسي مدفوعاً إلى وضع كل ثقتي في « نجوين أي كوك » على نحو لم يسبق له ضريب معنى . . . شعرت بأنني على استعداد لأن أفعل أي شيء يطلبه مني . . . وأيقنت أن لشخصيته تأثيراً قوياً ، وأنها مصدر إشعاع دائم . . .

وعدت إليه في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي . . . كان في انتظاري ، مرتدياً بدلة عادية من قماش أسود . . . لنقوم معاً بجولة في باريس . وخرجنا ، وسرنا في عدة شوارع ، ولم نكن نكف عن الحديث ، وبعد نحو ساعة دخلنا معرضاً فنياً . وهنا يطيب لي أن أعترف بأنني لم أكن أهتم في ذلك الوقت — لصغر سني — بالفنون الجميلة ، بيد أن مجرد وجودي معه كان متعة لي . كان ذلك المعرض ينتظم زهاء مائة من اللوحات ، وكان يغص بالزوار ، ولاحظت أن « نجوين » كان يعرف أناساً كثيرين من هؤلاء الزوار . وظل يدقق طويلاً في كل واحدة من اللوحات ، ويتحدث عنها إلى أصدقاء فرنسيين كانوا هناك . . .

. . . ثم أخذني « نجوين » إلى شارع « ديكارم » ودخلنا مطعماً

صينياً لتناول الغداء . وبعدئذ عدنا إلى بيته الصغير حيث تحدث إلى عن نشاطه قائلاً إن دخله من التصوير و « الرقوش » ضئيل جداً ، ولكنه يدخر منه جزءاً ينفقه على « لا باريا » .

على أن شتى المهام التي كانت تشغل وقت « نجوين » طوال النهار لم تكن تمنعه من التريض في أيام الأحد ، وارتياح المعارض والمتاحف . وعند ما زرت باريس مرة ثانية اصطحبني معه لزيارة متحف « اللوفر » . وكان يعرف أحياء باريس وشوارعها معروفة جيدة ، وخاصة الأحياء التي يعيش فيها العمال .

وقبل أن أغادر باريس أسدي إلى طائفة من النصائح أذكر منها بوجه خاص قوله :

« تذكر دائماً أنك ابن شعب فقد وطنه . . . يجب علينا أن نتعلم كيف نتفاهم فيما بيننا ، ونتضافر ، ولا ندع أحداً يغلبنا على أمرنا ، ويتعين علينا أن نكون كالبنيان المرصوص ، وأن نتضامن مع الطبقة العمالية ، ومع الشعب الفرنسي ، ومع شعوب كل المستعمرات ، فنحن جميعاً عمال مستغلون ” بفتح الغين “ .»

وعند ما وصلت إلى ميناء « الهافر » التف حولي الأتراب ، وأمطروني بوابل من الأسئلة ، فلم أجد مفراً من أن أذكر لهم كل شيء ، فاستبد بهم الحماس . . .

وعلى الفور ، نظمنا الوسائل الكفيلة بنقل الصحف سرا إلى الهند الصينية ، وإلى البلاد التي يعيش فيها مهاجرون فيتناميون ، مثل « كاليدونيا الجديدة » و « ريونيون » . وجمعنا تبرعات لصحيفة « لا باريا » واشترينا مئات النسخ من تلك الصحيفة ومن صحيفة « لومانيتيه » ومجلة « لوبلشيفيك » لنرسلها إلى مواطنينا خفية .

وفي شهر أبريل من سنة ١٩٢٣ عادت الباخرة التي كنت أعمل عليها إلى ميناء « الهافر » فأسرعت إلى باريس بحثاً عن « نجوين أي كوك » .

ولم أكن قد أمسكت عن التفكير فيه خلال تلك الرحلة البحرية الطويلة .

وكانت الحركة العمالية الفرنسية ناثرة على الأوضاع بوجه عام : وفي منطقة « الهافر » ظل عشرات الآلاف من العمال مضربين عدة أشهر ، وحدثت اشتباكات دموية عديدة مع البوليس .

وفي فييتنام كانت الإدارة الاستعمارية تشدد النكير على الشعب أكثر من أى وقت مضى ، وازدادت الحال سوءاً بسبب كثرة الفيضانات والمجاعات ، ومع ذلك فقد كان الأرز الفييتنامى ينقل بكميات ضخمة إلى فرنسا ، وهو أمر جعل كيلنا يفيض . . . كانوا يسرقون أرزنا بينما كان مواطنونا يموتون جوعاً . . . ومن ثم رأينا أن من واجبنا أن نطلع « نجوين أى كوك » على هذه الأوضاع المؤلمة .

واتجهت إلى شارع « جوبلان » بيد أننى لم أجد « نجوين » فى بيته ، فأسرعت إلى مكتب الصحيفة حيث وجدته يتبادل أطراف الحديث مع أفريقى لم أكن أعرفه . وما أن رآنى حتى شد على يدى وقدم إلى محدثه الرقيق « سيجو » قائلاً إنه من أبناء أفريقيا الغربية .

وكان أول شىء ذكرته له أن أعداد « لباريا » والصحف الأخرى ترسل بانتظام إلى فييتنام . ولاذ بالصمت ، وأرسمت إمارات الألم على وجهه عند ما حدثته عن شحن كميات ضخمة من الأرز إلى فرنسا مع أن شعبنا يتضور جوعاً .

ويمضى « بوى لام » قائلاً :

وفى خلال ذلك اللقاء علمت ، لأول مرة ، أن « نجوين » كان جاراً لحام اسمه « فان فان تروونج » . وأنه — أى المحامى — تنازل له عن الشقة المتواضعة التى كان يقيم فيها . . .

وذكر لى « نجوين » أنه حدث ذات يوم أن دعاه « البيرسارو » وزير المستعمرات والحاكم العام السابق فى الهند الصينية لزيارته . وكان

أول ما قاله له : وهو يخنز على أسنانه ويضغط بيده على المكتب في عصبية ظاهرة : « إن لدى فرنسا من القوة ما يمكنها من إنزال عقاب صارم بالذين يتخذون منها موقفاً كله عناد » .

ولكن « نجوين أى كوك » لم يعلق أية أهمية على كلام « سارو » ، بل الواقع أنه ضرب به عرض الحائط : وآية ذلك أنه مضى في معارضته العنيفة للاستعمار الفرنسى ، وعندئذ رأى « سارو » أن يهدئ من روعه توطئة « لشرائه » : فما كان من نجوين إلا أن رد عليه قائلاً إنه ليس في حاجة إلى أية مساعدة ، وأنه يكسب من عمله ما يكفيه ليحيا حياة كريمة .

وأضاف « نجوين » قائلاً لوزير المستعمرات : « إني في حاجة إلى شيء واحد هو : استقلال الشعب الفيتنامي » .

ولم يجد « البيرسارو » مفراً من أن يقبل اللطمة الشديدة التي سددها إليه « نجوين » مع أن المعروف عنه أنه كان سليط اللسان عنيفاً ، يتطاير الشرر من فمه ! كيف كان يمكنه أن يؤذى « نجوين » الذي كان يلتقي تأييداً قوياً من الشعب الفيتنامي ، وشعب المستعمرات ، وفئات عديدة من الشعب الفرنسى ، ومن الحزب الشيوعى الفرنسى ؟

وفي شهر يونيو من عام ١٩٢٤ قدم الحزب الشيوعى الفرنسى « نجوين أى كوك » كمرشح عنه في الانتخابات البرلمانية ، في قائمة « كاشاي » و « كوتيرييه » . . . ونشر نبأ الترشيح في الصحف ، وطبع على ملصقات .

وقد سعدنا ، نحن الفيتناميين ، بذلك أيما سعادة ، وكنا نقف فرحين مختطين على النواصي لنقرأ اللافتات . . . وكان يخيل إلينا كلما وقعت أبصارنا على اسم « نجوين أى كوك » أننا نرى تحته شعبنا وبلادنا .

وقد سجل الحزب الشيوعى الفرنسى ، بذلك الترشيح ، تضامناً

الطبقة العاملة الفرنسية مع المستعمرات في نضالها ضد العدو المشترك :
الرأسمالية .

ولكن كان طبيعياً ألا يشترك « نجوين أى كوك » في عضوية
الجمعية الوطنية الفرنسية لسبب جوهري هو أنه ليس فرنسياً .
وقد التقيت بـ « نجوين » للمرة الأخيرة في فرنسا عند نهاية
سنة ١٩٢٣ . وفي سنة ١٩٢٥ انضمت إلى الحزب الشيوعي الفرنسي .
وفي خلال تلك الفترة سافرت إلى باريس وبجشت عن « نجوين » في
مكتب صحيفته « لا باريا » ، وقيل لي إنه يقيم في حارة « كومبوان » رقم ٩ .
وعند ما توجهت إلى هناك قال لي البواب . بعد أن هز رأسه : إن
« نجوين » سافر وعدت إلى ذلك العنوان عدة مرات ، ولكن
دون جدوى

ثم عرفت أنه غادر فرنسا منذ وقت طويل ! . ولقد أحسست أنا ،
مثلاً أحس آلاف الفيتناميين الذين كانوا يعيشون في فرنسا ، أن ثمة فراغاً
كبيراً خلفه « نجوين أى كوك » بسفره

وبعدئذ عرفت أنه سافر إلى الاتحاد السوفيتي عند نهاية سنة ١٩٢٣
كان « الكومنتيرن » قد دعا في ذلك الوقت إلى عقد المؤتمر الشيوعي
الدولي الخامس ، وكان الاختيار قد وقع على « نجوين » ليكون مندوباً
فيه بوصفه عضو قسم المستعمرات المتفرع من اللجنة المركزية للحزب
الشيوعي الفرنسي . وقد ألقى في ذلك المؤتمر بياناً هاماً عن تحرير المستعمرات
سجل بالحرف الواحد في محاضر الجلسات .

وما يذكر هنا أن المرض اشتد على « لينين » خلال تلك الفترة ،
ولم تلبث المنية أن عاجلته ، ومن ثم أرجأ المؤتمر جلساتهم حتى شهر يونيو
من عام ١٩٢٤ .

ويجمل بي ، بعد هذا كله ، أن أقول إن « نجوين أى كوك » كان

« يصنع » رجالاً أينما ذهب . ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم ألتق به ؟
كنت في ذلك الوقت على يقين من أنني لن أعود إلى بلادي . . .
لأننا كنا جميعاً في يأس مقيم ، ولا نعرف ماذا نفعل ! .

ثم ظهر « نجوين » في طريقي . وذكرني بما على من واجبات كمواطن
نحو وطني الضائع ، وأوضح لي الطريق الذي كان يتحتم على أن أسلكه
للإسهام في تحرير بلادي

وبعدئذ تسلطت على ذهني فكرة واحدة ، هي العودة إلى أرض
الوطن لأضطلع بواجبي وتبعاتي

وفي نهاية ذلك العام نفسه عدت إلى فييتنام .

الفصل السادس

الكاتب والصحفي

انضم « نجوين أى كوك » إلى القسم التاسع المتفرع عن الحزب الشيوعي الفرنسي ، الذى كان يسمى « قسم المثقفين » ، وكان يضم بين أعضائه البارزين « جورج بيوش » الصحفي الفوار بالحماسة ، الذى كان معروفاً بأسلوبه الدقيق العنيف . وحججه القوية ، المفحمة . و « بورييس سوفارين » الذى كان وقتئذ ألمع مفكر ماركسى مناضل فى باريس .

وقد اشترك نجوين معهما فى المؤتمر الشيوعي الذى عقد فى مرسيليا خلال شهر ديسمبر من عام ١٩٢١ . ونشرت صحيفة « لومانيتيه » فى ذلك الوقت رسماً كروكياً للمناضل الشاب بريشة « جاسبيه » يمثل وجهاً طويلاً . وقسمات غائرة ، وخصلة شعر متدلّية (١) . . .

وشرع نجوين ، أثناء إقامته فى باريس ، يختلف إلى مدرسة « الكادرات » التابعة للحزب الشيوعي . وكان للمناضل القديم « رادى » مدير المدرسة ابنان أحدهما اسمه فولتير ، والثانى ريقان . وقد توثقت الروابط بين « نجوين » وهذين الشابين ، ولا سيما فولتير رادى الذى كان من رواد الشبان الشيوعيين .

وأخذ نجوين ، فى الوقت نفسه ، يتعلم فن الحديث والخطابة على

(١) راجع « هوشى منه » تأليف جان لاكويتر ص ٢٨ وما بعدها ، و « ذكريات عن هوشى منه » الذى اشترك فى تأليفه عدد من المفكرين الفيتناميين ص ٥٤ وما بعدها (الجزء الثانى) .

يد جورج بيوش الذى كان معروفاً بدين جانبه . ودمائة خلقه . ولهذا السبب بالذات بدأ يتردد على بعض الأندية السياسية ليختبر قدرته على الخطابة

كان فى البداية كثير التلعثم ، بيد أن عاطفته الجياشة كانت تدفعه مع ذلك إلى الاسترسال والإفاضة فى التنديد بالاستغلال الاستعماري . ولكنه لم يلبث أن تعلم فن الإلقاء ، وأن أصبح خطيباً مفوهاً . سلس العبارة ، بارعاً فى بسط ما لديه من حجج مقنعة مفحمة .

ومن عجب أن « نجوين » لم يحاول أن يسترضى - بلا وعى - الطوائف العمالية ، أو زملاءه أعضاء الحزب الشيوعى ، فى عدد يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٢ من صحيفة « لومانيتيه » كتب يقول :

« لقد قرر الحزب الشيوعى الفرنسى الاضطلاع بمهمة غاية فى الدقة ، متعلقة بـ سياسة الاستعمارية ولكنه يصطدم بما تبديه البروليتاريا فى باريس من عدم اكتراث ولا مبالاة حيال المستعمرات . . . وبالأراء المسبقة التى يتشبث بها العامل الفرنسى الذى يعد الأجنبي شخصاً أضرأل منه شأنأ ، فى حين أن الأجنبي يعد الفرنسيين مستغلين شريرين . . . » .

ولكنه كان ، بطبيعة الحال ، أشد عنفاً إزاء الإقطاعيين ، والحقنة من الفيتناميين ، وقد صور عقيدته الثورية الجديدة فى كتاب وضعه خلال تلك الفترة وجعل عنوانه « قضية الاستعمار الفرنسى » الذى سبقته الإشارة إليه (١) ، وتولت طبعه مكتبة « العمل » ، التى طبعت العنوان على الغلاف بثلاث لغات هى العربية ، والصينية ، والفرنسية ! .

ولئن كان « نجوين » قد خصص الكثرة الغالبة من صفحات الكتاب للمشكلة الفيتنامية ، فإن مرجع ذلك إلى أنه كان يعرف دقائق تلك

(١) أعيد طبع الكتاب فى هانوى فى سنة ١٩٦٢ .

المشكلة حق المعرفة ، ولكنه حاول ، ما وسعته المحاولة ، أن يقدم أمثلة على الاستغلال الاستعماري في داهومي ، ومدغشقر ، وجزر الأنتيل . والواقع أن هذا الكتاب ليس مجرد احتجاج وطني باسم بلد مغلوب على أمره ، وإنما هو حملة شعواء على نظام له فروع دولية : الاستعمار . والفصل الأخير من الكتاب يضم منشوراً « لاتحاد البلاد المستعمرة » . وقد اختتم الكتاب بنداء كارل ماركس الشهير : « بأعمال كل البلدان اتحدوا » . وقد أصدر نجوين صحيفة لا باريا من شهر أبريل سنة ١٩٢٢ حتى شهر أبريل سنة ١٩٢٦ ، ولكنه لم يوفق خلال تلك الفترة إلا في إصدار ثمانية وثلاثين عدداً . وكانت الصحيفة في البداية شهرية ، ثم رأى نجوين أن يصدرها نصف شهرية ، وبعد ذلك بدأت تصدر في مواعيد غير منتظمة وخاصة بعد أن سافر نجوين إلى موسكو قبيل نهاية عام ١٩٢٣ .

وكان نجوين شديد الحرص على قراءة بروفات الصحيفة بدقة وعناية ، حتى لا يجد القراء فيها أخطاء مطبعية ، كما كان ينشر في كل عدد صورة فوتوغرافية ، أو بضعة رسوم ذات دلالة ومغزى . وحرى بالذكر هنا أن الكثرة الغالبة من تلك الصور والرسوم كانت تمثل قسوة كبار رجال الإدارة الاستعمارية الفرنسية في فييتنام وشراستهم ، أو إقطاعيين فييتناميين يسومون الفقراء من أبناء وطنهم ألوانا من العذاب .

ولم تكن « لا باريا » تتضمن إلا توقيع « نجوين » في أغلب الأحيان ، وكان يؤثر أن يكون اسمه المنشور فيها « نجوين أي كاك » وليس « نجوين أي كوك » على أنه نشر في بعض أعدادها مقالات للزعيم السوري رشيد رضا ، أو فصولاً عن « حرب الريف » لما رسيل كاشان ، أو دراسات عن الجزائر بتوقيع « الحاج بيكو » أو « على بابا » أو « الجزائري » ويلوح أن الذي كان يكتب بتلك الأسماء المستعارة هو الحاج علي عبد القادر مؤسس الحزب الشيوعي الجزائري ، وليس « مصالى الحاج » .

وقد وجه « نجوين » في أحد أعداد « لا باريا » خطاباً مفتوحاً إلى



الرئيس الراحل هوشي منه
مع الجنرال جياب

ألبير سارو وزير المستعمرات ، الذى كان قد أنشأ وقتئذك إدارة خاصة لمراقبة أبناء الهند الصينية المهاجرين الذين كانوا يقيمون فى فرنسا . وقال فى ذلك « الخطاب » بالحرف الواحد :

« فى الوقت الذى يسعى فيه البرلمان إلى الاقتصاد فى المصروفات ويتجلى فيه ضعف الزراعة والصناعة ، ويطالب الشعب بتعبئة كل الطاقات الإنتاجية . . . فى هذا الوقت يلوح لنا أن إنشاء تلك الإدارة يكلف البلاد نفقات باهظة . . . وإذا كنت ، يا صاحب السعادة ، تريد أن تعرف ماذا تفعل نحن كل يوم ، فهذا أمر يسير : سننشر كل يوم بياناً عن حركتنا ، وما عليك إلا أن تكلف نفسك مشقة قراءته . . . »

ومضى يقول فى لهجة لا تخلو من السخرية اللاذعة :

« أما فيما يتعلق بى شخصياً ، فإننى أقضى فترة الصباح — من الساعة الثامنة حتى الساعة الثانية عشرة — فى مرشيمى . وأنفق فترة بعد الظهر فى مكاتب الصحف (اليسارية بطبيعة الحال) أو فى دار الكتب . أما فى المساء فستجدنى فى غرفتى ، وأيام الأحد هى أيام الراحة ، وأوشر أن أمضيها فى زيارة المتاحف ، أو أماكن أخرى مفيدة . . . هذا كل ما فى الأمر ! ! » .

ويختم نجوين « خطابه المفتوح » قائلاً :

« وإلى إذ آمل أن ترضى ، يا صاحب السعادة ، عن هذا البرنامج المريح الدقيق ، أرجو أن تقبل تحياتى . . . » .

على أن المقالات التى كان يكتبها « نجوين » لم تكن من هذا النوع الخفيف الذى يثير الضحك ، بل كانت ، فى أغلب الأحيان ، حملات جد عنيفة على النظام الاستعماري الفرنسي ، مدعمة بالأرقام لا بالعبارات التصويرية ، ومملوءة بالنكات المؤلمة لا بالضحكات الثأرية .

ولم تكن « لا باريا » تبذل أى جهد لإخفاء ميولها السياسية ، فحين

« وكانت ديدمونا الطيبة القلب تعرف أن أباهما كان — بحكم منصبه — عنصرياً ، ومن ثمّ وطنت النفس على الاقتران بعطيل دون أن أن تحصل على موافقة أبيها . »

« وفي تلك المسرحية لم يلعب ياجو ورود ريجو ، وهما من الجنس الأبيض ، دوراً لامعاً ، والواقع أنهما كانا يبدوان أشد سواداً من السود أنفسهم ! » .

« وانقضت ثلاثمائة وعشر سنوات ، وما برح الأجانب واقفين على المسرح منظر مسرح الحرب . والمؤلف في هذه المرة نكرة ، ولا يمكن الاهتداء إلى مكانه ، بيد أن أغلب الممثلين — الأبطال منهم وغير الأبطال — ما برحوا واقفين على خشبة المسرح لأنهم اهتموا بأداء أدوارهم كل الاهتمام إنها لمأساة حقيقية ! ! إن سنة ١٩٢٢ ترى الأجانب يعودون إلى المسرح مرة أخرى إنهم يلحقون بالبواخر ، ويرسلون إلى أوربا كمتطوعين لمحاربة الوحشية ، والدفاع عن "الحضارة" إن الأجانب الذين خرجوا أحياء من مذبحه عام ١٩١٤ — شأنهم شأن الذين ظلوا أحياء بعد الحرب العالمية الأولى — يستطيعون أن يقولوا إنهم لم يعطوا دماءهم من أجل حق وديمقراطية الجنس الأشمر ، بل أعطوا كل شيء آخر يملكونه »

« ولقد اكتفى مسيو شكسبير بعقد قران عطيل الزنجى على الشابة البيضاء أما الكتاب المسرحيون الفرنسيون — ومنهم ساشا جيتري — فقد طالبوا بأن يصبح الزوج والمملون متحضرين لكي يغزوا المجتمع الأبيض ويحملوا سيّداته على خيانة أزواجهن ! وقد تحقق لهؤلاء الكتاب ما أرادوا ، فقد وضعت مدام "مارجريت دنوايه" — بعد بدء "الغزو" — بتسعة أشهر — طفلاً ملوناً ! ويؤسفنا أن مسيو مارسيل دنوايه لم يرحب بمولد هذا الطفل ، لأنه كان يؤثر أن يولد هذا الطفل غزير الشعر ، يحمل كيساً على ظهره ، وبندقية على كتفه ليدافع عن أرض الوطن ! » .

« . . . ومن حق إخواننا ألمانى المستعمرات أن يشعروا بالفخر ، ومن حقنا نحن أن نكون سعداء . ذلك أن سيدات المجتمع الراقى الأنيق سيرتدين ، ابتداء من العام القادم . شيئاً من عندنا ، فقد قررت بيوت الأزياء الباريسية أن تكون أقمشة المستعمرات موضحة الربيع القادم ، وستطلق على الأثواب الخليفة أسماء مثل "ثى بى" و "بامبارا" و "أولوى" و "لوفلوف" . . . »

« هيا بنا يا أبناء المستعمرة : لقد جاء يوم المجد ! » .

« . . »

ونشرت « لا باريا » فى يوم أول فبراير سنة ١٩٢٣ المقال التالى :
« لقد بذلنا قصارى جهدنا — دون جدوى — لنعثر فى رأسنا الأصفر على السبب الذى دفع رجال فرنسا ونساءها إلى إنشاء تلك المؤسسة الشهيرة المسماة « جمعية حماية الحيوانات » . ونحب أن نقول ، بادئ ذي بدء ، إننا لا ندرك ذلك السبب لأننا نلاحظ أنه لا تزال هناك كائنات بشرية بائسة تطلب العناية بها قليلا ، يضاف إلى ذلك أن تلك الحيوانات ليست أهلا لكل هذا الاهتمام ، وليست بائسة إلى هذا الحد ، ولكننا نستثنى الأسد الأسود الذى يفيد أولئك الذين ألفوا أن يلقوا أقدامهم بجلود الحيوانات . . . إن أكثر هؤلاء الناس شرسون . . . شديدا والشراسة » .

« ألا يجىء "البولدوج" — بأسنانه الكريهة — لينترع صريح مؤتمرا باريس ؟ وهذا يكره القرد الفلمنكى ، والديك الفرنسى ، على أن يواجهها ، وحدهما ، النسر الألمانى فى منطقة الروهرا لقد استطاع النمر "كليمنتصو" قبل أن تفك قيوده ، أن يلتهم عدداً من وزارات الجمهورية ! ألم ينفقوا — دون طائل — الملايين والبلايين — بواسطة صديقينا العظيمين كولتشاك وورانجل — لشراء جلد الدب المسكوفى الذى لم يعد اليوم راجياً فى أن يدع أحداً يدنو منه ؟ » .

« من فى هذه العاصمة لا يشكو من شرور النسر ؟ وهل تفعل

القطط شيئاً غير محاولة الإفادة من الخلافات والانقسامات والتمزق الاجتماعي ؟ وبائعات الهوى الأنبيقات . . . ألسن يعملن على هدم الحياة الزوجية ؟ وفتران الفنادق . . . أليست ألد أعداء المسافرين ؟ .

« ثم نلاحظ أن أقوى الذئاب يكون دائماً على حق ، وأن النعاج هي آفة المجتمع الشريف . . . ولكن لتحدث قليلاً ، قبل أن نختم كلامنا . عن حيوانات المستعمرات . . . »

« إن الذين يعملون على توفير مقومات الحضارة والمدنية لنا يبذلون قصارى جهدهم — وهذا أمر يجب علينا أن نعترف به — لكي يلبسوا عدداً من الأيام الأجنبية الهادئ المطيع . ريش النعام ليحولوها إلى ببغاوات أو كلاب حراسة ! ! »

« وصفوة القول أن كل الحيوانات تعيش في نعيم نسبي ، وإذن إذا كان لدى أعضاء "جمعية حماية الحيوانات" ساعات فراغ فيجمل بهم أن يهتموا ، أولاً ، بالقرود التي يعذبها دكتور « فورونوف » . وبالحملان الأجنبية المسكينة التي يجزون شعرها على الدوام ! » .

الفصل السابع

مؤسس الحزب

أصبحت الطبقة العاملة الفيتنامية ، على الرغم من قلة عدد أفرادها ، قوة سياسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وكان مرد ذلك إلى أنها عرفت كيف تفيد من تأثير ثورة أكتوبر الروسية ، والثورة الصينية ، وإلى الجهود الجبارة حقاً التي بذلها « نجوين أي كوك » في سبيل نشر الماركسية اللينينية في بلاده .

وكانت الطبقة العاملة الفيتنامية متركزة إذ ذاك ، إلى حد كبير ، في المناطق الصناعية . ففي عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ كانت صناعة التعدين في فيتنام الشمالية تنتظم أكثر من ثلاثة وثلاثين ألف عامل ، من بينهم زهاء ستة وعشرين ألفاً كانوا يعملون في مناجم الفحم . وكانت شركة « نام دينه » للنسيج تستخدم ٤٥٠٠ عامل ، وكان عدد عمال شركة الغزل الأنامية (نسبة إلى أنام) يربو على ستة آلاف عامل (١) .

وقد استطاعت تلك الطبقة ، بفضل احتشادها في المناطق الصناعية ، أن تنظم صفوفها على نحو لا بأس به ، ومن ثم بدأت تناضل بطريقة لا تخلو من القوة والفعالية ضد السادة الفرنسيين . غير أن نمو نضالها المطرد ، واتساع نطاقه ، كان يقتضي إنشاء حزب سياسي يتولى الزعامة .

ولهذا السبب بالذات وصل « نجوين أي كوك » إلى مدينة كانتون

* (١) راجع " الرئيس هوشي منه " تأليف " قام فان دونج " ص ٥٤ وما بعدها.

الصينية في شهر ديسمبر من عام ١٩٢٤ ، ليشعل الثورة الفيتنامية .
وكان أول ما فعله إثر وصوله إلى تلك المدينة أن بدأ يدرس ويحاول أن
يدرك حقيقة الموقف في بلاده .

وكان الشعب الفيتنامي في ذلك الوقت يزداد غضباً وحقدًا . يوماً في
إثر يوم ، من جراء إسراف المستعمرين الفرنسيين في اتباع أعنف
الأساليب الاستغلالية . غير أن زعامة تلك الحركة كانت ضعيفة ، وكانت
تضم مثقفين تقدميين تضافروا حول « فيتنام كوانج فوك هوى » — أي
جمعية بعث فيتنام — التي كان يترعّمها « فان بوى شاو » .

وكان « نجوين أي كوك » قد تقدم إلى « الدولية الثالثة » في يوم
١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، بتقرير عن تلك الجمعية قال فيه : « كان
هدف تلك الجمعية الوحيد هو استرداد الأرض التي غزاها الجنود
الفرنسيون ، ولكنها كانت تفتقر إلى خطة عمل صائبة ، وسياسة سليمة ،
ولم تبد أي اهتمام بمسألة تنظيم الجماهير » .

وقد انهارت تلك الجمعية بسرعة لأنها فشلت في وضع خطة ثورية
محكمة ، ولأنها لم تعرف كيف تنظم صفوف الجماهير الغاضبة على
الاستعمار الفرنسي ، ثم لأنها لم توفق في تحديد أهدافها السياسية على
نحو يبسر لها الاضطلاع بمهمتها الوطنية الكبرى .

وفي سنة ١٩٢٣ أنشئت جمعية « تام تام كسا » — أي جمعية القلب
للقلب — في كانتون ، وكانت تضم مناضلين تقدميين نذكر منهم « لي
هونج فونج » و « هونج سون » . بيد أن البرنامج الذي وضعته لنفسها
كانت تعوزه الدقة .

وفي شهر يونيو من العام التالي كلفت تلك الجمعية رجالاً شجاعاً من
أعضائها باغتيال الحاكم العام الفرنسي في شامين (الصين) . وكان
لذلك العمل البطولي تأثير قوى جداً في نفوس الشعب الفيتنامي . بيد أن
الجمعية لم تنجح في إنشاء قواعد لها في فيتنام .

وفي تلك الفترة ظهرت في فيتنام حركة إصلاحية طالبت الإدارة الاستعمارية الفرنسية بطائفة من الإصلاحات . أما الحركات الوطنية التي قامت بها آنشد البورجوازية الصغيرة . والبورجوازية الوطنية ، فكانت تدعو إلى التعصب ، وكان برنامجها الثوري يقوم على الاغتيالات الفردية ، وتدمير المؤامرات .

وكانت تلك الأوضاع تتطلب من « الحزب » ومن الطبقة العاملة الثائرة أن يتولوا قيادة الشعب في نضاله . وقد طلبا إلى « نجوين أي كوك » في إلحاح شديد ، أن يضاعف الجهود المبذولة في سبيل نشر العقيدة الماركسية - اللينينية ، وأن يضطلع بالأعمال التنظيمية اللازمة ، توطئة لإرساء « الحزب » على أسس قوية متينة .

وفي شهر يونيو من عام ١٩٢٥ تمكن « نجوين أي كوك » من إعادة تنظيم جمعية « القلب للقلب » ، وأطلق عليها اسماً جديداً هو « جمعية الرفاق الفيتناميين الثوريين » ، وجعل منها منظمة ثورية ذات طابع شعبي واسع النطاق ، واتخذها وسيلة لنشر العقيدة الماركسية - اللينينية ، ولم شمل الوطنيين من ذوي الميول الشيوعية .

ولم ينس « نجوين أي كوك » ، أثناء اضطراره بمهمة تنظيم القوى الثورية في البلاد ، العمل في سبيل توحيد الشعوب التي تكافح للتخلص من نير الاستعمار ، ففي « كانتون » اشترك مع مواطني عدد من البلاد الأخرى في تكوين « عصبة الشعوب المغلوبة على أمرها في آسيا » ، ولم تلبث تلك العصبة أن شملت كوريا ، وأندونيسيا ، والملايو ، والهند ، والصين ، وفيتنام .

وكانت البلاد الراضحة تحت نير الاستعمار تفتقر إلى « الكادرات » القيادية ، وإلى التنظيم ، كما لاحظ « نجوين » في البيان الذي تلاه في مؤتمر الدولية الشيوعية . وكانت فيتنام ، هي الأخرى ، في أمس الحاجة إلى « الكادرات » .

ومن ثم رأى « نجوين » أن المهمة الأولى التي لا معدى عن القيام بها في أقرب وقت مستطاع هي تدريب الكادرات التي تلمس حاجة الحركة إليها . ولهذا أوفد عدداً من الشبان إلى الاتحاد السوفيتي للدراسة في بعض معاهدها ، كما أوفد عدداً آخر للدراسة في كلية « هوامبوا » العسكرية في الصين . وفي الوقت نفسه نظم دراسات قصيرة الأجل للكادرات في كانتون واستطاع أن يدرب - من منتصف عام ١٩٢٥ حتى منتصف ١٩٢٧ - أكثر من مائتين من الكادرات ، وأوفدهم إلى فيتنام حيث دربوا بدورهم ، عدداً كبيراً من أفراد الشعب ، وبذلك تمكنوا من توسيع نطاق الحركة الثورية .

ولم يهمل « نجوين » الدعاية على الرغم من أنها في تنظيم برامج التدريب ، ولهذا أصدر صحيفة « الشباب » لتحدث باسم اللجنة العامة «لرابطة الشبان الفيتناميين الثائرين» ، وكانت مهمتها تعريف الجماهير في فيتنام بالماركسية اللينينية . وما يذكر هنا أن « نجوين » كتب في تلك الصحيفة مقالات عديدة كان لها الفضل الأكبر في إحياء الضمير السياسي في نفوس الجماهير .

وفي غضون عام ١٩٢٦ وضع كتاباً عنوانه « الطريق الثوري » حدد فيه للثورة الفيتنامية الاتجاه السليم الذي يجمع بين الماركسية والواقع الفيتنامي .

ويتضمن ذلك الكتاب ثلاثة عناصر بارزة هي :

١ - الثورة هي مهمة جماهير العمال والفلاحين وليست عملاً يقوم به عدد قليل من الناس .

٢ - يجب أن يرسى أسس الثورة حزب ماركسي - لينيني .

٣ - يجب أن تتحد الثورة في فيتنام مع البروليتاريا الدولية ، وينبغي أن يتمكن الشعب المكافح ، ومعه الطبقة العاملة ، من التمييز بين الدولية الثالثة والدولية الثانية .

ويتحدث « نجوين أى كوك » فى كتابه هذا عن القوى الثورية فى
فيتنام فيقول :

« إن الضغط يولد الثورة . ولهذا كلما اشتد الضغط على الإنسان ،
ازدادت روحه الثورية قوة . وازداد تصميمه الثورى صلابة ، لقد كان
الإقطاع يضغط فى الماضى على الرأسمالية . ولهذا السبب حدثت ثورة ،
والآن تضغط الرأسمالية على العمال والفلاحين ، والنتيجة هى أنهم أصبحوا
القوى الحقيقية للثورة . وهذه هى الأسباب :

أولاً : إن أشد أنواع الضغط تقع على العمال والفلاحين .
وثانياً : إنهم أوفر عدداً . ومن ثم فإن قوتهم الثورية هى الأقوى .
وثالثاً : إنهم لا يملكون شيئاً غير أيديهم المكشوفة ، ولهذا فإنهم لن
يخسروا إلا حياتهم المليئة بعوامل البؤس إذا منوا بالهزيمة : أما إذا انتصروا
فإنهم سيكسبون العالم بأسره . وهم — على هذا الأساس — أشجع الناس .
ولهذا الأسباب يعد العمال والفلاحون قواعد ثورية . وثمة ضغط واقع على
الطلبة ، والمدرسين وأصحاب الصناعات الصغيرة ، ولكن هذا الضغط
أضال من ذلك الذى يعانى منه العمال والفلاحون . إذن فهم — أى الطلبة
والمدرسون ، وأصحاب الصناعات الصغيرة — لا يمكن أن يكونوا إلا أصدقاء
ثوريين للعمال والفلاحين .

وعرج على العوامل التى لا بد من توافرها لانتصار الثورة الفيتنامية
فقال :

يجب — أولاً وقبل كل شئ — أن يكون ثمة حزب ثورى ينظم
الجماهير فى بلادنا ، ويثيرها ويتصل — فى الخارج — بالشعوب المغلوبة
على أمرها ، وبالطبقة العاملة فى كل مكان . ولا يمكن أن تنجح الثورة
إلا إذا كان الحزب قوياً حازماً . ولكى يكون الحزب قوياً ينبغى أن تكون
له عقيدة — أيديولوجية — يفهمها كل الأعضاء ويتبعونها . والحزب الذى
لا أيديولوجية له كالشخص المحروم من الذكاء ، أو كالسفينة التى

لا بوصلة فيها .

وهنا يقول : « فام فان دونج » :

« إن تقدير القوة الدافعة الثورية للحزب وإيديولوجيته في كتاب « الطريق الثوري » هو في الواقع الذي كون الأفكار والآراء التي سارت على هداها الثورة الفيتنامية خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة » .

« ولقد اصطدمت مهمة نشر الماركسية – اللينينية التي اضطلع بها « نجوين أي كوك » ورابطة الشبان الفيتناميين الثائرين بعقبات عديدة كأداء من جراء أعمال القمع الوحشية التي كان يقوم بها الاستعمارون . فلقد حاولوا ، بكل الوسائل ، منع شعبنا من معرفة أي شيء عن ثورة أكتوبر الروسية والاتحاد السوفيتي ، وبدلوا قصارى جهودهم للحيلولة دون اتساع نفوذ الحركة الشيوعية الفرنسية ، والثورة الصينية » .

« بيد أن الدعاية المنظمة الدقيقة التي قام بها « نجوين » ورابطة الشبان الفيتناميين الثوريين أدت إلى تمكين الشعب من الوقوف على معلومات مفيدة عن الحركة الثورية في العالم ، وبذلك أصبح الفيتناميون أعظم ثقة ، وأشدّ تحمساً واطمئناناً إلى مستقبل بلادهم ومصيرها . والواقع أن تعدد فروع تلك الرابطة في شتى أنحاء فيتنام يسر مهمة إعداد الأسس التي كانت لازمة لإقامة الحزب عليها » .

ويمضي « فان فان دونج » قائلاً :

« وفي ذلك الوقت اشتد المد النضالي في فيتنام . . . فقد أسهم الملايين – من كل الفئات – في سلسلة من الاضرابات شملت المصانع والأسواق ، والمدارس ، وتعددت الاجتماعات ، وكثرت المظاهرات » .

« على أنه كان هناك ، من وجهة النظر الأيدولوجية ، صراع شديد على الزعامة بين الأحزاب السياسية : رابطة الشبان الفيتناميين الثائرين ، والحزب الوطني الفيتنامي في فيتنام الشمالية ، والحزب الدستوري . وكان ذلك الصراع ثائراً – في الواقع – بين أيديولوجية البروليتاريا الثورية

وتعصب الأيدريولوجية الإصلاحية التي كانت تعتنقها البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية .

وفي شهر أبريل من سنة ١٩٢٧ قام « تشيانج كاي شيك » بثورة مضادة استطاعت الاستيلاء على ثمار الثورة ، وترك لنفسه الحبل على الغارب في معاملة الأعضاء الصينيين الشيوعيين بقسوة ووحشية ، ولم يتردد رجاله في الزج بالكادرات الفيتناميين في غياهب السجون في كانتون .

وكان من جراء الحمجية التي تجلت في مسلك تشيانج كاي شيك وأذنا به أن اضطرت اللجنة العامة لرابطة الشبان الفيتناميين الثائرين للانتقال إلى هونج كونج . وسافر « نجوين أي كوك » إلى شنغهاي ، ومنها إلى الاتحاد السوفيتي ، ثم إلى بروكسل حيث حضر « المؤتمر الحزبي المناهض للإمبريالية » . وبعدئذ زار فرنسا ، وألمانيا ، وسويسرا ، وإيطاليا .

وفي خريف العام التالي - ١٩٢٨ - غادر أوربا إلى سيام (تايلاند) ليقدم يد المساعدة إلى حركة الفيتناميين الذين كانوا مقيمين في تلك البلاد .

وفي غضون ذلك كانت رابطة الشبان الفيتناميين الثائرين قد وسعت نطاق نشاطها حتى أصبح يشمل الكثرة الغالبة من المرافق العامة ، وطفقت تدعو الأهالي إلى الأخذ بأسباب الماركسية - اللينينية ، وقد نجحت دعوتها في البيئات العمالية بوجه خاص ، وكانت نتيجة ذلك النشاط الجهم أن بدأت الحركة النضالية العمالية تزداد قوة وعنفاً ، وأن اشتدت مطالبة الجماهير بإنشاء « حزب قيادي » .

وفي الثالث والعشرين من شهر يناير عام ١٩٢٩ عقدت رابطة الشبان الفيتناميين الثائرين مؤتمرها التمهيدى في هونج كونج . وقد أثار المندوبون الشيوعيون الذين مثلوا فيتنام الشمالية في المؤتمر مسألة إنشاء

الحزب ، بيد أن المؤتمرين رفضوا الفكرة . وحين عاد أولئك المندوبون إلى فيتنام أنشأوا في فيتنام الشمالية هيئة من سبعة أعضاء أطلقوا عليها اسم « الجماعة الشيوعية » .

وفي شهر مايو من العام نفسه عقدت الرابطة سألقة الذكر مؤتمرها في « مكاو » ، وطالب مندوبو « الجماعة الشيوعية » بحل الرابطة وإنشاء « الحزب الشيوعي » ، ولكن المؤتمر رفض أن يناقش الأمر . وعندئذ انسحب مندوبو فيتنام الشمالية من المؤتمر عائددين إلى بلادهم حيث أنشأوا « حزب الهند الصينية الشيوعي » الذي شرع يبذل نشاطاً جماعياً في فيتنام الشمالية والوسطى .

وبعد انتهاء ذلك المؤتمر أنشأ التقدميون ذوو الميل الشيوعية من أعضاء اللجنة العامة لتلك الرابطة « الحزب الشيوعي الأنامي » الذي تجلى نشاطه في فيتنام الجنوبية .

وجدير بالذكر ، بعد هذا كله ، أنه كانت هناك في فيتنام ثلاثة أحزاب شيوعية ، يعمل كل منها على حدة ، وحين وصل « نجوين أي كوك » في تلك الأثناء إلى هونج كونج دعا إلى عقد مؤتمر برياسته لتوحيد تلك الأحزاب الثلاثة وإدماجها في حزب واحد يسمى « الحزب الشيوعي الفيتنامي » ، وفي الثالث من شهر فبراير عام ١٩٣٠ صدر بيان رسمي عن إنشاء ذلك الحزب الجديد .

وبعد مسألة توحيد الحزب جاءت مسألة إقرار برنامج الحزب في المؤتمر . وقد وضع « نجوين أي كوك » بنفسه مسودة ذلك البرنامج الذي أذيع نصه في الثامن عشر من فبراير عام ١٩٣٠ .

وفما يلي فقرات من النداء الذي وجهه « نجوين » آنئذ لإنشاء الحزب الشيوعي :

« إن أعمال القمع الوحشية التي يقوم بها الإمبرياليون الفرنسيون قد أبقت مواطيننا الذين أدركوا جميعاً أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا إلا إذا

كانت هناك ثورة . وأنهم بدونها سيفنون . ولهذا السبب بالذات نمت الحركة الثورية من حيث القوة والحجم . . . إضرابات في المصانع ، وإصرار الفلاحين على ملكية الأرض ، وإضرابات في المدارس والأسواق . . . لقد هبت الجماهير في كل مكان ضد الإمبرياليين الفرنسيين . « لقد بثت الثورة الفرع والرعب في قلوب الإمبرياليين الفرنسيين الذين يستخدمون الإقطاعيين والبورجوازيين للضغط على الأهالي واستغلالهم ، ويضطهدون ويعتقلون ويسجنون ، ويقتلون الفيتناميين . وهم يخططون إذا اعتقدوا أن في مقدورهم أن يسحقوا الثورة الفيتنامية بالإرهاب وذلك لعدة أسباب أولها أن الثورة الفيتنامية ليست معزولة ، فهي تتلقى عوناً من البروليتاريا الدولية عامة ، ومن الطبقة العاملة الفرنسية بوجه خاص . والسبب الثاني أن الفيتناميين الشيوعيين الذين كانوا مشتتين فيما مضى أصبحوا متحدين في حزب هو الحزب الشيوعي الهندي الصيني "نسبة إلى الهند الصينية" الذي يقود مواطنينا جميعاً في طريق الثورة . « أيها العمال — والفلاحون ، والشبان ، والطلبة » .

« أيها المواطنون المستغلون » .

« لقد تم إنشاء الحزب الشيوعي الهندي الصيني ، إنه حزب الطبقة العاملة . وسيوجه الحزب البروليتاريا لتشعل الثورة ، وذلك للنضال في سبيل مصالح الناس المغلوبين على أمرهم بصفة عامة » .

« وابتداء من هذه اللحظة يجب علينا أن ننضم إلى الحزب ، وأن نعاونه ، ونسير في ركابه ، وذلك لتحقيق الشعارات التالية :

١ — إسقاط الإمبرياليين ، والإقطاعيين ، وأعداء الثورة

البورجوازيين في فيتنام .

٢ — كفالة الاستقلال التام للهند الصينية .

٣ — إنشاء حكومة يشترك فيها العمال والفلاحون والجنود .

٤ — مصادرة البنوك وغيرها من المرافق التي يملكها الإمبرياليون ،

وإخضاعها لإشراف حكومة العمال والفلاحين والجنود .

٥ - مصادرة كل المزارع والممتلكات التي يملكها الإمبرياليون وأعداء الثورة من الفيتناميين البورجوازيين . وذلك لتوزيعها على الفقراء .

٦ - العمل ثماني ساعات في اليوم .

٧ - وضع نظام للقروض التي تقدمها الدولة ، وإعفاء الفقراء من الضرائب المرهقة .

٨ - كفالة الحرية في كل صورها للجماهير .

٩ - توفير وسائل التعليم لأفراد الشعب كافة .

١٠ - إقرار المساواة بين الرجال والنساء .

* * *

وعمد « الحزب » - عقب انتهاء مؤتمر الوحدة - إلى توسيع نطاق العمليات التي كان يقوم بها لتنظيم صفوف الجماهير ، وحضها على الثورة ، وكان الخط الثوري القوي للحزب موثقاً لأوضاع المجتمع الفيتنامي العملية ، ولمصالح وأمانى الجماهير ، ولهذا رحبت به الجماهير كل الترحيب ، ولهذا أيضاً اتسع نطاق الهبات الثورية من الشمال إلى الجنوب على نحو لم يسبق له مثيل ، وبقوة لم يشهدها الاستعمارون من قبل ، واشتد نضال العمال والفلاحين ضد الإمبرياليين ، والإقطاعيين .

وأراد « نجوين أي كوك » ، في الوقت نفسه ، أن يمكن الشعب الفيتنامي من الوقوف على مزيد من المعلومات عن الاتحاد السوفيتي ، ومن ثم وضع كتاباً أسماه « مذكرات شخص نجا من سفينة تحطمت » وضمه ما سمعه وراه في الاتحاد السوفيتي ، بأسلوب سلس أخاذ .

وفي شهر أبريل من عام ١٩٣٠ عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعها الأول في هونج كونج ، ووافقت على البرنامج السياسي ، وقررت

تسمية الحزب « الحزب الشيوعي الهندي الصيني » .
وعلى هذا النحو زودت الثورة الفيتنامية التي اختارت لنفسها
الخط الماركسي - اللينيني ، ببرنامج شامل كف للطلقة العاملة ، وللأمة
بأسرها ، التوجيه الصحيح السليم لنضالها توطئة للظفر بالنصر النهائي .
ومنذ ذلك الوقت اضطلعت الطلقة العاملة الفيتنامية - على الرغم من
الصعاب والأخطار التي صادفتها في طريقها - بمهمة قيادة الثورة في
سبيل التحرر ، وقطعت شوطاً كبيراً في بناء الصرح الاشتراكي . . .
ويرجع الفضل في هذا كله إلى الروح الثورية البطولية للطلقة
العاملة الفيتنامية وبالجهود العظيمة التي بذلها الشعب ، والمساعدات ذات
الشأن التي قدمتها الأحزاب الشقيقة . . .
. . . ثم إلى « نجوين أي كوك » مؤسس الحزب ومعلمه .

الفصل الثامن

العودة إلى الوطن

بعد ٣٠ سنة في المنفى !

كان من أثر الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي اجتاحت سائر أنحاء العالم في الثلاثينات ، أن عانى الشعب الفيتنامي ، وخاصة الفلاحين والعمال ، ألواناً من الشدائد أخطرها البطالة التي استشرت بسرعة ، وتضاؤل كميات المواد الغذائية ، مما أوشك ، خلال فترة ما ، أن يؤدي إلى مجاعة عامة .

وكانت جماهير الشعب تزداد تبرماً بالأوضاع الاقتصادية ، واستعداداً لإشعال ثورة عارمة كلما تكاثرت العوامل التي تسببت في تعطل عدد كبير من العمال الصناعيين والزراعيين ، وفي تضاؤل كميات المواد الغذائية الرئيسية .

وكان طبيعياً ، وقد وصلت الحال الاقتصادية إلى تلك الدرجة من السوء بل من الخطورة ، أن تبلغ الحركة الثورية بزعامة « الحزب » ذروتها : فقد عمد العمال والفلاحون في كثير من مناطق إقليمي « نجه آن » « هاتنه » إلى إسقاط السلطة الإمبريالية والإقطاعية ، وإنشاء سلطة جديدة يوجهها الحزب .

وكان « نجوين أي كوك » يواصل ، خلال تلك الفترة العصيبة ، إرسال التعليمات لإرشاد المشرفين على الحركة الثورية داخل البلاد ، ويبدل جهداً مضاعفاً لتعليم « الكادرات » طريقة العمل ، وتصويب ما يقعون فيه من أخطاء .

من ذلك مثلاً أنه بعث في العشرين من شهر أبريل عام ١٩٣١ ، إلى اللجنة المركزية للحزب ، برسالة يقول فيها ما يأتي :

« إنكم تضطلعون بالمهام الموكولة إليكم على نحو غير عملي ، ولا يتلاءم مع الأوضاع في كل منطقة . والملاحظ أن بعض المنظمات لا يهتم اهتماماً كافياً بالجبهة المناهضة للإمبريالية . وأنا أطالبكم بما يأتي :

- ١ - تصحيح تلك الأخطاء .
 - ٢ - وضع برنامج عمل محدد وملموس لكل منطقة وإقليم .
 - ٣ - يجب أن تسند المهام إلى أعضاء الحزب بطريقة عسكرية ، وعلى الرفاق المسئولين عن منطقة أو مهمة معينة أن يضعوا برنامج عمل لكل رفاق في كل منظمة .
 - ٤ - يتحتم على اللجان التنفيذية المتفرعة عن الحزب أن تتولى بنفسها الإشراف على تنفيذ برامج العمل .
 - ٥ - على اتحادات نقابات العمال الشبان أن تتحد ، أولاً وقبل كل شيء ، وأن يكون لها وجود مستقل .
- وكان « نجوين أي كوك » شديد الاهتمام بمسألة التضامن ، والتضافر والوحدة ، ولا سيما الوحدة الأيديولوجية والسياسية في الحزب ، وهو في هذا يقول :

« على جميع أعضاء الحزب وفروعه أن يناقشوا تعليمات وقرارات اللجنة المركزية ، فهذه هي الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى الأعضاء ، وتنفيذ التعليمات والقرارات ، وتوحيد أذهان الأعضاء وأعمالهم . . . »

وقد عمد الإمبرياليون الفرنسيون ، بعد أن أذهلتهم الحركة الثورية الفيتنامية ، إلى اضطهاد الفيتناميين ومعاملتهم بقسوة ووحشية ، مما تسبب في حدوث مجازر ، واعتقال عشرات الآلاف من الأفراد ، والزج بهم في السجون .

وفي الوقت نفسه تحالف الإمبرياليون الفرنسيون مع الحكام الرجعيين في الصين وسيام، للقضاء على الحركة الثورية، ثم تواطأوا مع الإمبرياليين البريطانيين لإلقاء القبض على زعيم الحزب «نجوين أي كوك» في يوم ٥ يونيو سنة ١٩٣١، في هونج كونج حيث كان يقيم باسم مستعار هو «تونج فان صون» . . . وكان من المتفق عليه أن تسلم السلطات البريطانية «نجوين» إلى السلطات الفرنسية لأن المحاكم الاستعمارية في فيتنام كانت قد حكمت عليه بالإعدام ! .

بيد أن «الدولية الشيوعية» استطاعت، عن طريق الصليب الأحمر، أن تستعين بمحام إنجليزي تقدمي يدعى «لوزبي» نجح في إقناع السلطات البريطانية بإطلاق سراح «نجوين» لأنها سبجته على أساس غير قانوني. واضطر «نجوين» للسفر فوراً إلى «شامين» حيث أنفق بضعة أشهر سافر بعدها إلى شنغهاي .

والتقى «نجوين» في شنغهاي . خلال نوفمبر من عام ١٩٣٣، بعضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي يدعى «كوتيريه» واستطاع بمساعدته استئناف الاتصال بالحزب الشيوعي الصيني . ثم الرحيل إلى الاتحاد السوفيتي حيث عمل فترة من الزمن في «معهد الدراسات الوطنية والاستعمارية» التابع «للدولية الشيوعية» . ومن هناك تتبع تطور الأحوال في الهند الصينية . وقد التحق إذ ذاك بمدرسة لينين، وهي مدرسة للدراسات العليا مخصصة لزعماء الأحزاب الشقيقة .

ثم عاد «نجوين» إلى الصين لكي يتصل بالحركة في بلاده، وكان الحزب الشيوعي الصيني يتعاون آنئذ مع الكومنتانج^(١) ضد اليابانيين، وقد أوفد الحزب إلى جنوب الصين بعثة من المستشارين العسكريين لتدريب جنود تشيانج كاي شيك على حرب العصابات . . . وجدير بالذكر هنا أن «نجوين» كان سكرتير تلك البعثة التي تولى رياستها قائد

(١) حزب تشيانج كاي شيك .

صيني اسمه « بيه شيين يينج » .

وفي تلك الفترة اشتدت حركة النضال المكشوف في فييتنام بزعامة « الحزب » ضد الفاشية ، والاستعمار ، والرجعية ، وكان المناضلون الفييتناميون يطالبون بالحقوق الديمقراطية ، وتحسين مستوى المعيشة .

وكان « نجوين » يراقب ، أثناء إقامته في الصين ، الموقف في بلاده . ويرسل إلى اللجنة المركزية للحزب - مستخدماً اسماً مستعاراً هو « ب. ك. لين » - توجيهات وتعليمات ، ويبعث بمقالات إلى صحيفتي « صوتنا » و « العمل » اللتين كان الحزب يشرف على إصدارهما .

وكان يوضح في رسائله إلى اللجنة المركزية للحزب السياسة التي يرى أن اتباعها كفيل بنمو الحركة الثورية . وفيما يلي نبسط من تلك الرسائل الفقرات الهامة التالية (١) :

١ - لا يسع الحزب ، في الوقت الراهن ، أن يقدم مطالب كبيرة (كاستقلال الوطني ، والبرلمان إلخ . . . إلخ . . .) لأنه إذا فعل ذلك وقع في شرك الفاشيين اليابانيين .

يجب علينا ، في هذا الوقت ، أن نكتفي بالمطالبة بالحقوق المدنية ، وحرية إنشاء المنظمات والهيئات وحرية الاجتماع ، وحرية الصحافة ، وحرية القول والرأي ، والعفو العام عن السجناء السياسيين . وينبغي لنا أن نكافح لحمل السلطات على الاعتراف بشرعية الحزب .

٢ - ولكي نبلغ الهدف سالف الذكر يتعين علينا أن نبذل كل ما في وسعنا من جهد لتنمية الجبهة الديمقراطية .

وهذه الجبهة لا تشمل الصينيين الهنود فحسب ، بل تشمل كذلك الفرنسيين التقدميين . . . لا العمال فقط ، بل كذلك البورجوازية الوطنية .

٣ - وحيال البورجوازية ينبغي أن يكون مسلك الحزب واضحاً

(١) من تقرير إلى « الدولية الشيوعية » - يوليو سنة ١٩٣٩ .

ومرناً ، وأن يحاول جذب أفرادها إلى الجبهة ، وكسب العناصر التي يمكن كسبها ، وتحجيد من يمكن تحييدهم ، لتجنب بقائهم خارج الجبهة .
٤ - لا يمكن التحالف مع التروتسكيين ، أو التساهل معهم . ولا بد من استخدام كل الوسائل لانتزاع أقتعهم بوصفهم جلادين وفاشيين .

٥ - يجب على الجبهة الديمقراطية - لكي تضاعف قواها . وتوسع نطاق نفوذها ، وتجعل أعمالها ذات فاعلية - أن تكون على اتصال وثيق بالجبهة الشعبية في فرنسا ، لأن تلك الجبهة تناضل ، هي الأخرى ، في سبيل الحرية والديمقراطية ، وفي مقدورها أن تمدنا بعون كبير .

٦ - على الحزب أن يمتنع عن إكراه "الجبهة" على الاعتراف بزعامته ، ولكن ينبغي له أن يظهر نفسه كأخلص وأشد الأقسام فاعلية ، وأن يكون على استعداد لبذل أعظم التضحيات . ولن تعترف الجماهير بالحزب كزعيم لها إلا إذا حرص على الاضطلاع بنضاله اليومي .

٧ - وللقيام بهذه المهمة يتحتم على الحزب أن يكافح التفكير القائم على ضيق الأفق والطائفية . ولا بد له من دراسة الماركسية - اللينينية ، ورفع مستوى "كادراته" وأعضائه ، وتوثيق صلاته بالحزب الشيوعي الفرنسي .

٨ - وعلى اللجنة التنفيذية المركزية أن تشرف على صحافة الحزب لتجنب الأخطاء في الاستراتيجية والتكتيك

ولكن بينما كانت حركة « الجبهة الديمقراطية » تزداد اتساعاً إذا بحكومة الجبهة الشعبية الفرنسية تسقط ، واندلع لهيب الحرب العالمية الثانية . وابتداء من ذلك الوقت راح الاستعماريون الرجعيون الفرنسيون يفعلون كل ما في وسعهم ، ويستخدمون شتى الوسائل العنيفة لقمع الثورة الفيتنامية . ومن ثم اضطر « الحزب » إلى التواري عن الأنظار ، والعمل سراً .

وعقدت اللجنة المركزية للحزب دورتها السادسة في شهر نوفمبر عن عام ١٩٣٩ . وقررت توجيه الثورة ضد الفاشية . وأسست « الجبهة القومية المعادية للاستعمار في الهند الصينية » .

واستطاع « نجوين أي كوك » الاتصال باثنين من المناضلين في إقليم يونان الصيني هما « فونج شي كين » و « هوانج فان هوان » ، وتمكن بواسطتهما من الاتصال بـ « الحزب » في فيتنام ، بعد أن ظل فترة من الزمن عاجزاً عن معرفة أي شيء عنه .

وفي مدينة « كوننج » الصينية دعا إلى تعزيز وتنمية منطمتين هما : رابطة تحرير فيتنام ، ورابطة تأييد الصين ضد اليابان . . . وذلك لتقوية الوعي السياسي في أذهان الفيتناميين المقيمين في الصين ، وتعزيز أواصر التضامن والتضافر بين الشعبين الفيتنامي والصيني .

وغنى عن الذكر هنا أن نشاط « نجوين » ورفاقه في الصين كان له تأثير طيب في نفوس الصينيين ، مما أدى إلى التحاق عدد غير قليل من « الكادرات » الفيتناميين بالكليات العسكرية الصينية .

• • •

وفي شهر يونيو من عام ١٩٤٠ احتلت القوات الهتلرية باريس ، واستسلمت البورجوازية الرجعية الفرنسية للمعتدين ، واستبد الاضطراب بالحكام الفرنسيين في كل أنحاء الهند الصينية ، وأصابهم الذهول .

وعندئذ رأى « نجوين » أن الفرصة الذهبية التي كان يترقبها حانت ، فأصدر على الفور تعليماته إلى « الكادرات » التي كانت تعمل بهمة ونشاط في الصين ، بالعودة في أسرع وقت إلى فيتنام لقيادة الحركة .

ولكن حدث في شهر سبتمبر من العام نفسه أن نزلت القوات اليابانية على سواحل الهند الصينية ، فما كان من المستعمرين الفرنسيين إلا أن تخاذلوا — بطبيعة الحال — أمام القواد اليابانيين وسلموهم البلاد في ذلة ومسكنة ! :

وهكذا أصبحت فييتنام ثن تحت نير مزدوج : وضغط ذى جانبين ، غير أن هذا كله لم يفت فى عضد الشعب الفيتنامى . وآية ذلك أن أهالى إقليم « باك صون » ثاروا ثورة عارمة بعد شهرين فقط — أى فى شهر نوفمبر من العام نفسه — وحدث الشىء نفسه فى فييتنام الجنوبية ، ولكن الفرنسيين تمكنوا من إخماد تلك الثورات بوسائل ملؤها القسوة والعنف .

وفى تلك الأثناء عاد «نجوين أى كوك» مع عدد من «الكادرات» إلى أرض الوطن بعد ثلاثين عاما قضاهما فى المنفى، وآثر أن يقيم مقر قيادة فى مدينة «باك بو» فى إقليم «كاوبانج»

وقد استهل نشاطه فى تلك القاعدة بأن نظم دراسات تدريبية لـ «كادرات» ، ثم أوفدهم إلى القرى لتأليب الأهالى ضد السلطات الاستعمارية ، وبدأ يشرف شخصياً على إصدار صحيفة « فييتنام المستقلة » ويكتب فيها فصولاً نارية تحض الشعب على الثورة .

وإن هى إلا بضعة أشهر حتى ازدادت الحركة قوة واتساعاً فى إقليم «كاوبانج» بفضل براعته فى تنظيم الدعاية . وبعد أن أنفق بضعة أشهر فى إنشاء قواعد جديدة ، وتنظيم الجمعيات المتفرعة عن الحركة ، دعا فى شهر مايو من عام ١٩٤١ — اللجنة المركزية لعقد دورتها الثامنة فى «باك بو» ، وكان رأى عند أعضاء اللجنة أن الصدام بين شعب الهند الصينية والإمبرياليين المعتدين هو الصدام الرئيسى ، ومن ثم قرروا إعداد العدة للتمرد المسلح ، وإنشاء قواعد لحرب العصابات .

وخلال تلك الدورة تنبأ «نجوين» بأن ألمانيا الفاشية ستغزو الاتحاد السوفيتى (قال ذلك فى مايو سنة ١٩٤١) ، وهاجمت القوات الهتلرية الاتحاد السوفيتى فى الشهر التالى . وتنبأ ، فى الوقت نفسه ، بأن الاتحاد السوفيتى سينتصر على قوات هتلر ، وبأن عدة دول اشتراكية ستظهر إلى الوجود .

ورأت اللجنة المركزية إنشاء « جبهة العمل لاستقلال فيتنام » وذلك رغبة منها في حشد أكبر عدد مستطاع من أهالي البلاد لمناهضة الفرنسيين واليابانيين . وفي يوم ١٩ مايو سنة ١٩٤١ ، تأسست الجبهة رسمياً ، ورؤى أن يختصر اسمها بالفيتنامية إلى « فيت منه » .

وكتب « نجوين » آثذ نداء جاء فيه ما يلي :

« لقد انهارت قوة فرنسا بعد أن هزمتها ألمانيا . على أن الأمر الذي يهم شعبنا هو أن الاستعماريين الفرنسيين ما فتئوا يقومون بمناورات أساسها السياسات الفوارة بالقسوة ، مستهدفين بها الاضطهاد ، والتعذيب ، والقتل الجماعي » .

« . . . لقد قسموا أرضنا ، وهم راكعون ، فأعطوا جزءاً منها لـ "سيام" ، وسلموا بلادنا لليابانيين . ومن ثم فإن شعبنا يئن تحت ضغط مزدوج : إن أفراد شعبنا يعدون جياداً وثيراناً للفرنسيين اللصوص ، وعبيداً للقراصنة اليابانيين . . . ما الذي فعله شعبنا ليواجه هذه الشرور ؟ . . . هل يقبل شعبنا أن يظل مقيد الأيدي ، وأن يموت في هذه الحال التي تدعو إلى الرثاء ؟ كلا ! كلا . . بكل تأكيد ! إن أكثر من عشرين مليوناً من أبناء وبنات الـ « لاك هونج » — السلف الأسطوري لشعب فيتنام — مصممون على ألا يعيشوا في ظل العبودية ، ففي الأعوام الثمانين الماضية لم تكف عن بذل التضحيات ، مناضلين في سبيل استقلالنا الوطني وحريتنا ، على الرغم من أننا كنا نعيش تحت النعال الحديدية لعصابات الفرنسيين » .

ومضى « نجوين » يقول في نداءه :

« . . . لقد حانت فرصة التحرر الوطني ، ففرنسا لم تعد قادرة على حكم بلادنا ، واليابانيون لا يسعهم أن يستخدموا كل قواتهم ضدنا ، لأنهم يواجهون مقاومة عنيفة في الصين ، ولأن « الحلفاء » يقفون لهم بالمرصاد . فإذا اتحدت بلادنا كلها ، واتحدت أذهاننا ، استطعنا —

يقيناً — أن نمزق الجيوش الفرنسية واليابانية إرباً إرباً . . . »
إلى أن قال :

« هبوا بسرعة . . . أيها المواطنون في كل أنحاء البلاد ! لنقتد بالشعب
الصيني البطل ! ولنهض بسرعة مستهدفين تنظيم "هيئات الإنقاذ الوطنية"
لإنزال الهزيمة بالفرنسيين واليابانيين » (١).

* (١) راجع "كتابات هوشي منه المختارة" — طبعة "هانوي" الفرنسية .

الفصل التاسع

الشعب يحطم أغلاله

في منتصف عام ١٩٤٢ سافر « نجوين أي كوك » إلى الصين لدراسة مقومات الثورة الصينية وأبعادها ، ولكنه ما كاد يجتاز الحدود حتى ألقى رجال « تشيانج كاي شيك » القبض عليه وسجنوه في « تسينج سي » .

وعلى الفور قرر الحزب الشيوعي الفيتنامي الاحتجاج على ذلك ، فأصدر عدداً خاصاً من مجلة « الاستقلال » باللغات الفيتنامية ، والصينية ، والفرنسية ، وأرسل نسخاً إلى الساسة الصينيين ، وإلى أقطاب المنظمات الديمقراطية مناشداً إياهم العمل على إطلاق سراح « نجوين » الذي أصبح اسمه وقتئذ « هوشي منه » (١) .

ولقد أمضى « هوشي منه » وقته — خلال العامين اللذين قضاهما في سجون تشيانج كاي شيك ، ولقي فيهما صنوفاً من العذاب — في نظم « مذكرات في السجن » ، وهو ديوان يضم بين برديه أكثر من مائة قصيدة تفيض وطنية ، وشجاعة ثورية ، وثقة لا حد لها بقدرة الشعب الفيتنامي على إحراز النصر

ولم يكد يخرج من السجن حتى أسرع في العودة إلى الوطن ومعه عدد من الشبان الفيتناميين الذين أتموا تدريبهم العسكري في الصين .

(١) راجع «الرئيس هوشي منه» تأليف «فام فان دونج» واللجنة المتخصصة في دراسة تاريخ حزب العمال الفيتنامي (ص ٧٧) .

ومما يذكر هنا أنه حين حل عام ١٩٤٤ كانت الحركة الثورية في فيتنام قد نمت نمواً سريعاً، وتعاظمت قوتها. وكان نفوذ « جبهة الفيت منه » قد شمل كل أرجاء البلاد، وكان « الحزب » قد نجح في إقامة جمعيات « للخلاص الوطني » في كثير من المناطق. وفي قواعد « باك صون » و « فونهاي » و « كاوبانج » وفقت الحركة الثورية في اجتذاب الأهالي جميعاً إليها، وشرعت تحول جهودها إلى حرب العصابات. وبدأت قاعدة « كاوبانج » وقتئذ تستعد للقيام بحركة تمرد.

وظفق « هوشي منه » ، بعد عودته إلى « كاوبانج » ، يدرس الموقف ، ولكنه سرعان ما قرر إرجاء التمرد على الرغم من أن « كاوبانج » كانت متأهبة له ، وذلك لسببين رئيسيين هما (١) :

١ - إن القرار الخاص بحركة التمرد اتخذ فقط على أساس الموقف في أقاليم « كاوبانج » و « باك كان » و « لانج صون » ، لا على أساس الموقف في أنحاء البلاد كافة .

٢ - إن شن حرب عصابات في تلك الظروف على نطاق بهذا الاتساع - على نحو ما قررت اللجنة الإقليمية المشتركة - سيؤول بالفشل ، ذلك لأن الإمبرياليين سيركزون كل قواتهم لقمعها . وفي هذا قال هوشي منه : يجب علينا أن نهتدي إلى أشكال أخرى للصراع المسلح تكون أكثر مرونة . ولا شك أن النشاط السياسي أهم من النشاط العسكري لدفع الحركة إلى الأمام حتى يتسنى لنا أن ندعم قواعدنا السياسية أولاً

ثم قال :

« إن فترة النمو السلمى للثورة قد انتهت ، على أن وقت قيام الشعب كله بتمرد عام لم يحن بعد . ومن ثم فإن طاقتنا لن تكون قوية على نحو

(١) راجع كتاب « قوات التحرير » تأليف « نجوين جياب » أستاذ أساتذة حرب العصابات - ١٩٤٧ .

يكفى لتقدم الحركة إذا اقتصر نشاطنا على الميدان السياسى وحده . ولكن إذا أشعلنا حركة التمرد العام على الفور فإن العدو سيجرنا إلى طريق مسدود .

« لقد انتقل النضال من شكله السياسى البحت إلى شكل عسكرى . بيد أن الشكل السياسى ما برح ، فى الوقت الحاضر ، أهم من الشكل العسكرى . ولا بد من اكتشاف شكل يكفل لنا النجاح . » ثم أصدر تعليماته بإنشاء وحدة للدعاية العسكرية ، وفى هذا قال :

١ - إن اسم « وحدة دعاية شعب فييتنام للتحرر الوطنى » معناه أن النشاط السياسى أهم من النشاط العسكرى . ولكن لكى تستطيع هذه الوحدة الاضطلاع بمهامها على نحو فعال فى الميدان العسكرى فلا بد لها من أن تعمل على أساس مبدأ رئيسى هو حشد القوى . وطبقاً للتعليمات الجديدة يجب اختيار أشد الكادرات والجنود تحمساً وتصميماً من بين صفوف وحدات حرب العصابات فى « كاوبانج » و « باك كان » و « لونج صون » .

« وما دامت مقاومتنا هى مقاومة يسهم فيها الشعب كله ، فإن الواجب يقضى علينا بأن نسلح الأمة كلها ، ولهذا يجب علينا ونحن نحشد القوات ، أن نضع خطة لتوزيعها على كل المناطق ، ونتخذ من التدابير ما يكفل التعاون التام بين كل الوحدات المسلحة . والمهمة الكبيرة التى ينبغى للقوة الرئيسية القيام بها هى توجيه الكادرات العسكرية المحلية ، وتدريبهم ، ومدتهم بالأسلحة كلما كان ذلك ميسوراً .

٢ - وفيما يتعلق بالوحدات المسلحة المحلية ينبغى إرسال الكادرات المحليين إلى بلادهم ليتولوا أعمال التدريب ، وإرسال كادرات مدربين إلى كل مكان ليتبادلوا الخبرة ، وينظموا الاتصالات ، وينسقوا القتال .

٣ - وفيما يتعلق بالتكتيك يجب الاعتماد على حرب العصابات ، وإحاطة كل شىء بالسرية التامة ، وتوخى السرعة ، وبذل قصارى الجهد

هنا وهناك، وأن يحرص كل رجل في حركتنا على أن يظل متوارياً عن الأنظار .

وهكذا استطاع « هوشى منه » ، بهذه السياسة البعيدة النظر . تجنب القيام بتمرد سابق لأوانه في « كاربانج » . وتوجيه الحركة في كل أنحاء البلاد توجيهاً سليماً : أى الاستعداد بهمة ونشاط للقيام بتمرد عام . وتوسيع نطاق النضال المسلح ، وبهذا تهيأ الأوضاع الملائمة . والظروف المواتية للتمرد الجامع المانع . والواقع أن « وحدة دعاية شعب فييتنام للتحرر الوطنى » كانت سلفاً للجيش الشعبى الفيتنامى .

وفى أواخر سنة ١٩٤٤ سافر « هوشى منه » إلى الصين مرة أخرى . واتجه لفوره إلى « كوننج » لينشى علاقات مع « الحلفاء » استعداداً لمحاربة اليابانيين .

وعند ما عاد إلى الوطن كانت قد طرأت على الموقف تغييرات ذات بال . فلقد حدث - كما توقعت اللجنة المركزية للحزب - أن قام اليابانيون بحركة عسكرية عنيفة فى التاسع من شهر مارس عام ١٩٤٥ ، فما كان من الفرنسيين إلا أن ركعوا على ركبهم واستسلموا صاغرين ! .

وفى مساء ذلك اليوم نفسه عقد المكتب الدائم للجنة المركزية اجتماعاً كبيراً فى قرية « دينه بانج » بإقليم « باك نينه » ، وكان رأى عند المجتمعين أن الحركة العنيفة التى قام بها اليابانيون لاتعدو أن تكون نصراً مؤقتاً ، وأنهم سيمنون بهزيمة ماحقة فى نهاية الأمر ، ذلك أن من شأن تلك الحركة أن تحدث أزمة سياسية تهيئ الجو لنضج حركة التمرد المسلح الذى اعترم الشعب الفيتنامى القيام بها .

كذلك كان رأى عند المجتمعين أن تلك الفترة كانت فترة الانطلاق فى التأهب لحركة التمرد ، وأن أمام الحزب مهمة عاجلة لامعدي له عن الاضطلاع بها هى قيادة الشعب كله ، وتحريكه فى اتجاه التمرد العام .

وقد شرع الحزب في القيام بتلك المهمة بسرعة مذهلة ، واستطاع أن يوسع نطاق حركة نضال الجماهير ، مما تسبب في إضعاف نفوذ الفاشيين اليابانيين وحكومة « ترانج ترونج كيم » الموالية لهم ، وإفلات زمام الموقف من أيديهم جميعاً على الرغم مما بذلوه من جهود جبارة لقمع الحركة بأساليب أقل ما يمكن أن يقال في وصفها أنها كانت غاية في الوحشية .

وفي غضون ذلك قرر « هوشي منه » دعوة المؤتمر القومي للحزب ، والمؤتمر الشعبي ، إلى الانعقاد على عجل ، بعد أن استسلمت ألمانيا وإيطاليا الفاشيتان ، بفضل الهجمات العاصفة التي شنتها وقتذاك جيوش « الحلفاء » والاتحاد السوفيتي ، وبعد أن أيقن أن ضربة ساحقة ستسد إلى اليابان في المحيط الهادي وآسيا إن عاجلاً أو آجلاً .

وعقد المؤتمر القومي للحزب في ١٣ ، ١٤ ، ١٥ أغسطس من العام نفسه في مدينة « تويين كوانج » ، وقرر القيام بالتمرد العام ، ووضع لذلك ثلاثة مبادئ هي : الحشد ، والوحدة ، وحسن التوقيت .

وقال المؤتمر إنّه لا بد من أن تحتشد القوات في المراكز الهامة ، وأن يكون ثمة تنسيق بين النشاط السياسي والنشاط العسكري ، وأن تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بحمل العدو على الاستسلام قبل أن يتعرض لهجمات الوحدات الفيتنامية .

ووافق المؤتمر على العلم الوطني والنشيد الوطني اللذين عرضا عليه ، وعلى مقومات جمهورية فيتنام الديمقراطية ، وعلى المبادئ السياسية العشرة التي وضعتها « جبهة فيت منه » ، وعدها السياسات الأساسية للحزب وللشعب كله .

وفي الميدان الدبلوماسي دعا المؤتمر إلى الإفادة الثامة من المتناقضات الماثلة بين بريطانيا وفرنسا ، والولايات المتحدة وبين تشيانج كاي شيك ،

وتجنب الوصول إلى موقف تضطر معه فييتنام إلى مواجهة عدة أعداء في وقت واحد .

كذلك أوصى المؤتمر بتحطيم المناورات التي كانت تقوم بها فرنسا للعودة إلى البلاد ، والقضاء على الخطة الخبيثة التي وضعها تشيانج كاي شيك لتحويل فييتنام إلى بلد تابع له ، والعمل على كسب ود الاتحاد السوفيتي . والحرص على التقرب إلى الشعبين الفرنسي والصيني .

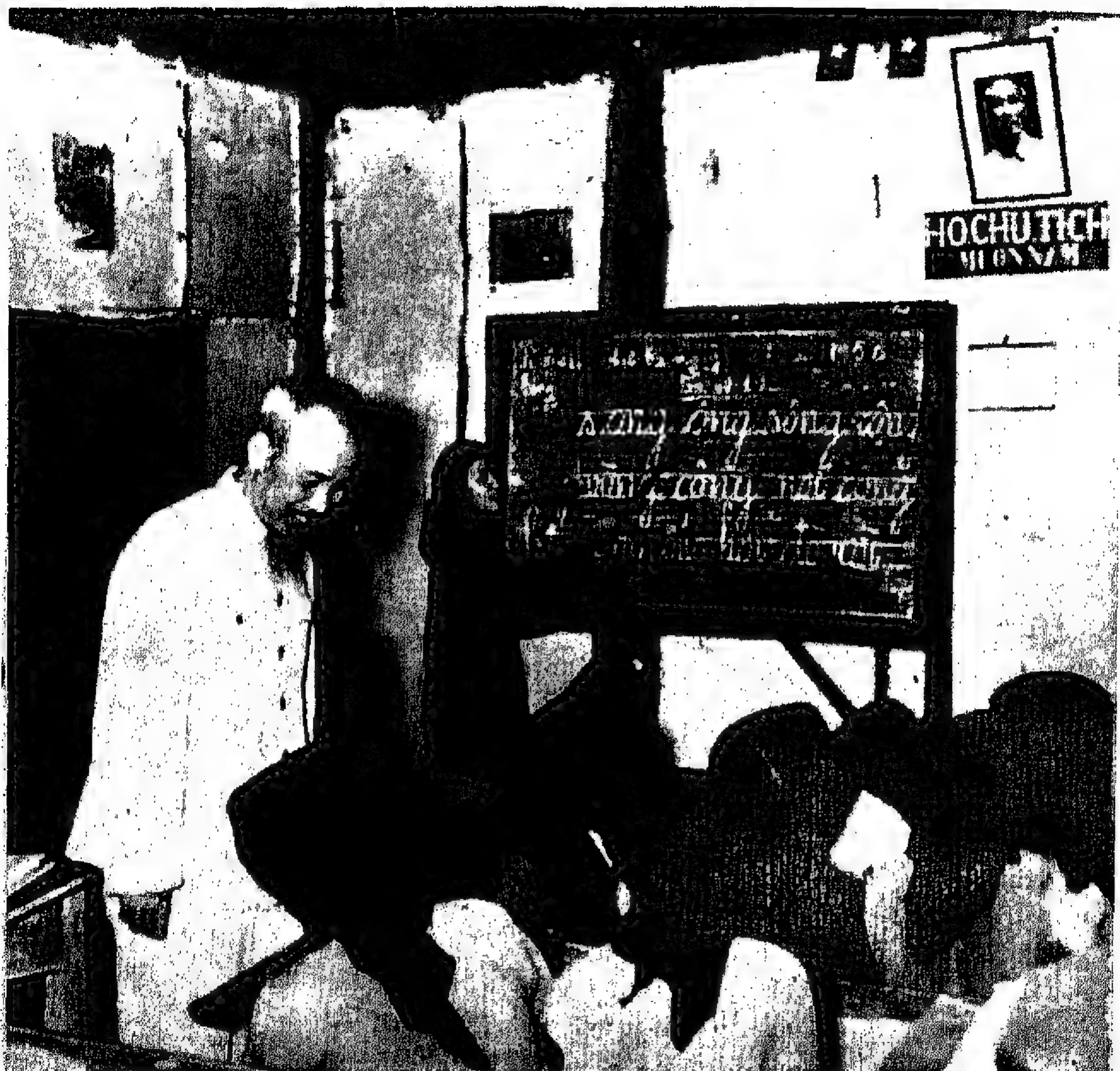
وفي يومى ١٥ ، ١٦ أغسطس من عام ١٩٤٥ انعقد المؤتمر الشعبى في مدينة « تان تراو » بإقليم « توين كوانج » وانتخب أعضاء لجنة التحرير الوطنى التى أصبحت حكومة مؤقتة ، كما انتخب بإجماع الأصوات « هوشى منه » رئيساً للدولة .

ووجه « هوشى منه » إلى الشعب نداء ناشده فيه القيام بالتمرد العام قائلا :

« لقد دقت الساعة الحاسمة في مصير الأمة . أيها المواطنون في كل أرجاء البلاد . . . لنهب جميعاً بكل قوتنا كي نحرر أنفسنا » .
وحانت الفرصة . . .

فقد استسلم الفاشيون اليابانيون في يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ . واستجاب الشعب بأسره للنداء ، وكان أشبه بفيضان عارم يحطم كل ما يصادفه من جسور . وثار الأهالى في كل مكان . . في الشمال والجنوب ، في المدن والقرى ، في السهول والمناطق الجبلية .

وفي خلال اثني عشر يوماً فقط سجلت حركة التمرد نجاحاً قل أن يكون له نظير ، فقد تكتل الشعب وأصبح كالبنيان المرصوص استجابة منه للنداء الحار الذى وجهه إليه « هوشى منه » ، وبفضل التوقيت الدقيق الذى حرصت عليه اللجنة المركزية للحزب . وقد استطاعت تلك الكتلة البشرية أن تحطم حكم الاستعماريين والإقطاعيين ، وأصبحت سنداً للقوة الثورية .



كان الرئيس هوشي منه يحرص على أن يشرف
بنفسه على تنفيذ برنامج محو الأمية . . .

وفي اليوم الثاني من سبتمبر وقف « هوشى منه » في ميدان « بادينه » بمدينة هانوى ، وتلا ، بالنيابة عن جمهورية فييتنام الديمقراطية ، « تصريح الاستقلال » التاريخى التالى :

« لقد لاذ الفرنسيون بالفرار ، واستسلم اليابانيون ، وتنازل الإمبراطور باوداي عن العرش ، وحطم شعبنا الأغلال التى قيدته طوال ربع قرن تقريباً وظفر بالاستقلال للوطن . وفى الوقت ذاته أسقط شعبنا النظام الملكى الذى ظل يحكمنا عشرات من القرون ، وأنشأ بدلاً منه جمهوريتنا الديمقراطية . »

ومضى يقول :

« إن من حق فييتنام أن يكون بلداً حراً ومستقلاً ، وهو كذلك الآن . ولقد صمم الشعب الفيتنامى عن بكرة أبيه على تعبئة كل قوته المادية والذهنية ، والتضحية بأرواحه وممتلكاته فى سبيل صون استقلاله وحرية . »

ثم قال :

« لأول مرة فى التاريخ الثورى للشعوب المستعمرة ونصف المستعمرة استطاع حزب — بعد خمسة عشر عاماً فقط من إنشائه — أن يقود الثورة إلى النصر ، وأن يقبض على السلطة فى كل أنحاء البلاد . »

على هذا النحو المثير استطاع الشعب الفيتنامى ، بمثابرته المثالية ، ونضاله المستمر ، وأعماله البطولية ، أن يفتح صفحة جديدة فى تاريخه ، وأن يصبح سيد بلاده ، وأن ينشئ أول ديمقراطية شعبية فى مستعمرة سابقة برياسة « هوشى منه » .

وهنا يجدر بنا أن نترك الكلمة لـ « نجوين مانه ها » رئيس جمعية

الطلبة الكاثوليك الذى اختير وزيراً للاقتصاد فى أول حكومة فيتنامية بعد الاستقلال :

« كنا نعتقد أن "هوشى منه" هذا ، الذى قيل لنا إنه زعيم حركة التمرد لم يكن إلا "نجوين أى كوك" ، ذلك الرجل الثورى الذى كان مجرد ذكر اسمه يثير فى نفوس الشباب حماساً شديداً . . . وكان "جياب" الذى عرفناه فى الجامعة ، والذى أصبح ، فيما بدا لنا ، محرك التمرد منذ يوم ٢٠ أغسطس ، يجمعنا فى الساعة الثامنة والنصف من مساء كل يوم ليسدى إلينا ما نحتاج إليه من "نصائح محدودة" ، ويتحدث معنا عن الشؤون العامة . »

« وقال لنا فى إحدى الليالى : « سيكون هوشى منه هنا مساء غد . » كان ذلك فى يوم ٢٥ أو ٢٦ أغسطس . »

« وفى اليوم التالى بينما كنا نتبادل أطراف الحديث فى الأروقة رأينا شخصاً غريباً يتقدم نحونا : كان يرتدى بنطلوناً قصيراً "شورت" وفى يده عصا ، وعلى رأسه قبعة لونها رمادى "من النوع الذى كان يستخدمه الجنود الإنجليز فى المستعمرات ، ولهذا تسمى قبعة استعمارية" ، لقد خيل إلينا أنه رجل عجوز يهوى المزاح والتهريج . من هو ؟ هل هو "كان بو" أى موجه سياسى قادم من الريف ؟ هل هو مثقف قادم من إحدى الضواحي ؟ ولكن سرعان ما لاحظنا شيئاً أذهلنا ، وجعلنا نعتقد أنه شخص له وزنه : فقد كانت تطل من جيب قميصه علبة سجائر أمريكية . . . وتم التعارف بيننا بسرعة . . . »

ويمضى « نجوين مانه ها » (١) قائلاً :

(١) استقال من منصبه فى سنة ١٩٤٦ ، وأقام مدة فى "فنون بته" ثم سافر إلى بريس حيث أصبح أحد زعماء "حركة" فى سبيل السلام وحياد "فيتنام الجنوبية" .

« كان ” هو“ لين الجانب ، دمث الأخلاق ، حليم الطبع أثناء جلسات مجلس الوزراء . وفي يوم أول سبتمبر — أى عشية إعلان الاستقلال — جاء معه بورقة كان قد كتب فيها نص البيان الذى أراد توجيهه إلى الشعب فى تلك المناسبة ، وعرض علينا النص ، وقبل ما اقترحنا ادخاله عليه من تعديلات . ولم تكن» الموضوعات مثار النقاش عديدة فى المجلس وقتئذ ، قبل أن يشترك فى الحكومة الوطنيون المناهضون للشيوعية » .

« وكان ” الفيت منه “ يسيطر علينا من عل ، ولم تكن لدينا إلا أشياء قليلة نعترض عليها : وكانت سياسة هوشى منه تقضى أساساً بالتفاهم مع فرنسا لاستبعاد الصينيين عن الموقف ، والحصول — بلا قتال — على الاستقلال فى أقرب فرصة مستطاعة . هل يمكن أن يقال شىء اعتراضاً على ذلك ؟ » .

« غير أن الأمور اضطربت ابتداء من شهر فبراير عام ١٩٤٦ ، حين اضطرت إلى أن يشترك فى مجلس الوزراء زعماء الوطنيين المتطرفين . وقد قال لنا يومئذ : من الآن فصاعداً لن تدور المناقشات بين أصدقاء ، وسيكون من الواجب علينا أن نكون حازمين فى موقفنا ، وسيضطرب بعض رجالنا إلى إخلاء مقاعدهم » .

« وكان يبكى ويمسح دموعه بمنديل كبير . . . ياله من موقف يهز النفوس . . . »

« ولم أره غاضباً إلا مرتين : المرة الأولى حين ألقى ” تران هوى ليو “ وزير الدعاية بياناً حمل فيه بعنف على الفرنسيين ، وأمر بإذاعة البيان بمكبرات الصوت القوية فى شوارع هانوى . وقد ثار هوشى منه على ذلك الوزير أثناء إحدى جلسات مجلس الوزراء ، وأنبه بشدة قائلاً : « إذا . . . أنت تجد لذة فى توجيه السباب إلى الاستعماريين . . . ! ما فائدة ذلك » .

والمرة الثانية التي رأيته فيها غاضباً كانت عند ما اعترف وزير البريد بأنه لا يستطيع إصدار طوابع البريد التي طلبها الرئيس ، فقد صب جام غضبه على ذلك الوزير قائلاً : « هكذا . . . إننا نريد الاستقلال ، ولكننا لم نهم بصنع طابع بريد » (١) .

وعند ما ولي رئاسة الدولة تساءل كثير من الصحفيين عن يمكن أن يكون « هوشى منه » هذا ، وأسرعوا إليه يسألونه فأجابهم قائلاً : « أنا رجل ثورى . حين ولدت كانت بلادى تعاني الأمرين من العبودية . ولما بلغت سن المراهقة ناضلت فى سبيل تحرير بلادى . هذا هو كل فضلى . ولهذا اختارنى رفاقى رئيساً . . . » .
وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٥ وجه إلى الأطفال والشيوخ حديثاً قال فيه :

أبنائى . .

إننا ندخل اليوم ، لأول مرة ، الفصول الدراسية فى جمهورية فيتنام الديمقراطية . . . إن ثمانين سنة من العبودية قد نالت بشدة من بلادنا . . . وواجبنا هو أن نرتفع بالتراث الذى ورثناه عن أسلافنا ، وأن نعوض ما فاتنا بسرعة ، ونلحق ببلاد العالم الأخرى ، هل سيكتب المجد لفيتنام ؟ هل سيحتل شعبها مكاناً يتساوى فيه مع شعوب القارات الخمس ؟ إن ذلك يرتهن ، إلى حد كبير ، بالجهود التي ستبذلونها (٢) . . .
ثم قال : « إنى أتحدث إليكم الآن بوصنى شيخاً . . . »

(١) راجع « هوشى منه » تأليف « جان لا كوتير » ص ٨٨ .

(٢) راجع « كتابات مختارة لهوشى منه » ص ٤٠ .

الفصل العاشر

حرب المقاومة

رأينا في الفصول السابقة كيف أنشأ الفيتناميون «جمهورية فيتنام الديمقراطية» بما انطوت عليه نفوسهم من قوة معنوية يندر أن يكون لها نظير ، على الرغم من الشدائد والأهوال التي صادفتهم على طول الطريق الشائك الذي قطعوه ليبلغوا هدفهم الأشمى .

ولقد كان من جراء طول المدة التي ناضلوا فيها بغير هواة أن تدهور اقتصادهم الذي كان متخلفاً إلى حد كبير ، وساءت أحوالهم المعيشية ، ومات زهاء مليوني شخص منهم جوعاً في ستة أشهر فقط : من يناير سنة ١٩٤٥ حتى يوليو من العام نفسه ، ومما زاد الطين بلة أن المجاعة التي انتشرت في بعض المناطق اقترنت بفيضانات جد خطيرة .

وفي تلك الأثناء كان الفرنسيون يقومون بمناورات على أكبر جانب من الخطورة آملين أن يعاودوا بسط سيطرتهم وسطوتهم على البلاد . وكان الإمبريالون الأمريكيون والإنجليز يدبرون في الخفاء خطة خبيثة تيسر لهم — بما كان لديهم من وسائل عسكرية ضخمة — التدخل في شئون الجمهورية الوليدة .

كان الموقف خطيراً إلى أقصى حد ، وكان الحفاظ على الجمهورية الفيتنامية الجديدة مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى الثورة الفيتنامية . بيد أن الرئيس «هوشي منه» استطاع ، بأعصابه الفولاذية ، أن يواجه الموقف العصيب بهدوء ، ورباطة جأش ، ونظر بعيد ، وأن يحدد لشعبه ثلاث مهام أساسية هي :

محاربة الجوع ، ومحاربة الأمية ، ومحاربة المعتدى .
 وقال في النداء الحار الذى وجهه إلى الشعب مناشداً إياه أن يبذل
 قصاره فى سبيل محاربة الجوع :
 « لا يسعنا أن نبعد عن أنفسنا التأثير والأسى عندما نتناول طعامنا ونتذكر
 أولئك الذين يتضورون جوعاً . ولهذا أقترح على مواطنينا ، فى كل أنحاء
 البلاد ، أن يمتنعوا عن تناول وجبة غذائية كل عشرة أيام ، أى الاستغناء
 عن ثلاث وجبات فى الشهر ، وسأكون أنا أول من يفعل ذلك ، وسيقدم
 الأرز المستغنى عنه إلى الفقراء » (١) .

ولقد استجاب الأهالى فى كل مكان لذلك النداء المؤثر بسرعة ، وفى
 الوقت نفسه أحرزت الدعوة لزيادة الإنتاج نجاحاً كبيراً ، وكان الناس
 ينفذون بدقة الشعار الذى أطلقه « هوشى منه » وهو « إن بوصة من
 الأرض تمثل بوصة من الذهب » . وإن هى إلا فترة غير طويلة نسبياً حتى
 تم إصلاح الجسور والمجاري المائية التى تهدمت بفعل المعارك التى
 خاضها الفيتناميون ضد المستعمرين ، وأمكن إزالة كل أثر للأسباب التى
 أوشكت ، فى وقت ما ، أن تؤدى إلى مجاعة شاملة ، وأصبح الكفاف
 ضد الأمية حركة جماهيرية وفقت ، أيما توفيق ، فى القضاء على
 الجهل .

وكان الرئيس « هوشى منه » ، فى غضون ذلك ، حريصاً أشد
 الحرص على إرساء الأسس التى تكفل استمرار وحدة الشعب وتضامنه .
 فى السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٥ أعيد تشكيل لجنة
 التحرير الوطنية ، واعتبرت حكومة مؤقتة ، وضم إليها ممثلون لطوائف من
 الشعب لا صلة لها بالحزب أو بجهة الفيت منه .
 وقد أصدرت الحكومة المؤقتة يومئذ بياناً موجهاً إلى الأمة قالت فيه :

(١) هوشى منه " كتابات مختارة " .

« تنفيذاً لتعليمات الرئيس هوشى منه قررت لجنة التحرير الوطنية إجراء إصلاح شامل ودعوة عدد من الشخصيات للاشتراك فى الحكومة المؤقتة ، والإسهام فى تحمل الأعباء الضخمة التى عهد بها الشعب إليها . »
وفى يوم ٦ يناير من سنة ١٩٤٦ هرع الفيتناميون جميعاً ، وحتى أولئك الذين يقيمون فى المناطق المتعرضة لهجمات الفرنسيين فى الجنوب ، إلى صناديق الاقتراع لانتخاب أعضاء أول جمعية وطنية لجمهورية فيتنام الديمقراطية .

وكان ذلك الإقبال الحماسى على صناديق الاقتراع دليلاً ما بعده دليل ، على أن الشعب الفيتنامى صمم على أن يظل متحداً ، وأن يقف كرجل واحد ضد الاستعمارين ، وأن يظفر بالنصر النهائى .

وقد أقرت الجمعية الوطنية ، بعد تكوينها بوقت قليل ، الدستور الجديد ، وأصدرت الحكومة عدة قوانين شملت مصالح مختلف فئات الشعب الذى أثبت أنه وصل إلى درجة كبيرة من النضج السياسى .
وكانت محاربة الغزاة الأجانب أشد المهام التالية إلحاحاً ، فقد اتخذ الفرنسيون من الإمبرياليين البريطانيين والجنود اليابانيين أداة مكنهم من أن يشعلوا الحرب علناً فى سايجون ، وفى عدة أماكن أخرى فى فيتنام الجنوبية .

وفى الشمال قام مئات الآلاف من جنود تشيانج كاي شيك بعمليات غزو واسعة النطاق ، وجروا وراءهم عصابات الرجعيين من رجال « فييت كوك » — حزب فيتنام الوطنى — والـ « فييت كاش » — جماعة التحرير الفيتنامية — الذين حاولوا ، ما وسعهم المحاولة ، القضاء على الحزب الشيوعى ، والإطاحة بالحكومة الفيتنامية الجديدة .

وعندئذ تحدث « هوشى منه » إلى الشعب قائلاً :

« كونوا مستعدين على الدوام ، ولكن عليكم فى الوقت نفسه أن تلتزموا الهدوء ، وتكونوا على استعداد لمواجهة كل الظروف . »

وكان طبيعياً أن تصبح القوات الفرنسية التي قامت بهجوم عام واحتلت البلاد ، العدو الأول للشعب الفيتنامي. وقد دعا هوشي منه إذ ذاك إلى تضيق المتناقضات الداخلية التي نجمت عن مسلك الـ « فييت كوك » والـ « فييت كاش » ، أي العناصر الرجعية التي كانت تعمل لحساب شيانج كاي شيك ، وذلك لحشد كل قوات البلاد لمواجهة الفرنسيين .

وحين صدع تشيانج كاي شيك بأوامر واشنطن ووقع اتفاقاً مع الفرنسيين يسمح لهم بدخول فيتنام الشمالية ، رأى « هوشي منه » أن من الخير كل الخير مهادة فرنسا ، ومن ثم وقع ، بالنيابة عن حكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية ، اتفاقاً تمهيدياً مع الحكومة الفرنسية في يوم ٦ مارس من العام نفسه .

وكانت النتيجة العملية لذلك الاتفاق الذي سمي « اتفاق الصلح في سبيل التقدم » ، ولسفر « هوشي منه » وقتئذ إلى فرنسا لإجراء مفاوضات ، أن ظفرت جمهورية فيتنام الديمقراطية بعطف الشعب الفرنسي ، وسائر شعوب العالم .

ولقد نجح الفيتناميون في إكراه قوات تشيانج كاي شيك على الانسحاب من الشمال . أما زعماء عصابات الرجعيين الذين كانوا يتوارون خلف قوات تشيانج كاي شيك فقد فروا بدورهم خوفاً من حقد الشعب عليهم ، ولجأوا إلى الجانب الفرنسي .

* * *

كان الفيتناميون يريدون السلام ليتمكنوا من بناء بلادهم ، بيد أن الفرنسيين أبوا إلا أن يغزوا البلاد . ومضوا في تنفيذ خططهم العسكرية دون أن يقيموا وزناً لاتفاق يوم ٦ مارس ، وبعد أن احتلوا « هايفونج » و « لانج صون » في يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، أطلقوا لأنفسهم الحبل

على الغارب ، وقاموا بسلسلة من العمليات الاستفزازية في قلب « هانوى » نفسها .

وفي يوم ١٧ ديسمبر أطلقوا نيران بنادقهم ومدافعهم الرشاشة في شارع « بين نينه » في هانوى ، وقتلوا عدداً كبيراً من الأهالى .

وكان على الشعب الفيتنامى أن يهب ويخوض غمار « حرب المقاومة » ليصون استقلاله . وهكذا بدأ القتال في سبيل الحياة أو الموت بين الفيتناميين والفرنسيين في يوم ١٩ ديسمبر .

وفي اليوم التالى وجه « هوشى منه » إلى الشعب نداء هذا نصه :
« إننا نريد السلام ، ولهذا قدمنا « تنازلات » إليهم — يقصد إلى الفرنسيين — ولكنهم كانوا يطمعون في المزيد لأنهم صمموا على احتلال بلادنا مرة أخرى » .

« كلا إننا نؤثر أن نضحى بكل شىء على أن نفقد بلادنا ، ونصبح عبيداً » .

« أيها المواطنون . . . يجب علينا أن نقاوم ! »

« يجب على كل الفيتناميين ، رجالا ونساء ، شباناً وشيوخاً ، ودون تمييز في العقيدة أو الاتجاه السياسى . . . أن يتصبوا واقفين ويقاتلوا المستعمرين الفرنسيين ، لإنقاذ الوطن . . . »

إن من يملكون بنادق يجب عليهم أن يستخدموها ، ومن يملكون سيوفاً عليهم أن يحاربوا بها ، ومن لا يملكون سيوفاً عليهم أن يستخدموا القنوس والعصى ! على كل منا أن يفعل كل ما في وسعه لمحاربة المستعمرين بغية « إنقاذ البلاد » .

« وحتى إذا واجهنا صعباً وآلاماً أثناء « حرب المقاومة » فإن النصر سيكون لنا إذا صممنا على بذل التضحيات » .

« على كل مواطن أن يكون مقاتلاً ، وعلى كل قرية أن تتحول إلى معسكر » (١) .

كان الشعب الفيتنامي قد وطن العزم على الاستمرار في « حرب المقاومة » حتى النهاية ، وإلى آخر قطرة من دمه . على أن « هوشى منه » أبى إلا أن يؤكد ، في كل مناسبة موالية ، أن فيتنام — حكومة وشعباً — تتطلع إلى السلام .

وقد ناشد الحكومة الفرنسية ، أكثر من مرة ، الدخول في مفاوضات مع الحكومة الفيتنامية ، غير أن قصر نظر الفرنسيين جعلهم يمحضون في القتال .

ومن حسن حظ الشعب الفيتنامي أن الفرنسيين أخطأوا في حساباتهم ، فلم يلبثوا أن أدركوا أن الفيتناميين يزدادون عنفاً في « حرب المقاومة » التي يشنونها ، وأنهم بدأوا يسجلون لأنفسهم انتصارات عظيمة يوماً بعد يوم . وفي هذا قال « هوشى منه » .

« لقد كنا أشبه بمجرى الماء عند منبعه ، أو بشمعة أضيئت منذ دقائق ، في حين أن العدو كان يفقد قوته ، ويزداد ضعفاً ، ويمنى بالهزيمة تلوا الهزيمة . لقد كانوا ” يعنى الفرنسيين “ كالشمس الغاربة ؟ » . وفي غضون الأعوام التسعة التي استغرقها « حرب المقاومة » كان « هوشى منه » مهتماً كل الاهتمام بالجنود والفدائيين ورجال حرب العصابات ، أبناء وبنات الأمة الأعزاء .

وفي يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٤٧ وجه إلى « المتطوعين الانتحاريين » في هانوى نداء هذا نصه :

« إنكم المتطوعون الانتحاريون ، لقد تطوعتم للموت حتى يتمكن وطنكم من أن يعيش . . . وعليكم أن تتذكروا دائماً :

(١) هوشى منه ” كتابات مختارة ” .

- ١ - أن عليكم أن تتصرفوا ببراعة ، وسرعة ، وسرية ، وأن يكون في مقدوركم أن تتفرقوا أو تتجمعوا ، طبقاً لما تمليه الظروف .
 - ٢ - وعليكم أن تزدادوا خبرة وتجربة في كل ساعة وكل يوم ، وأن تحرسوا من الخونة والجواسيس .
 - ٣ - ومن واجبكم أن تكونوا شديدي الحرس ، وأن تفيدوا إلى أقصى حد من الفرص الطيبة التي تسنح لكم .
 - ٤ - ويتعين عليكم أن تكونوا متحدين تماماً .
- وفي اليوم نفسه بعث « هوشي منه » إلى المؤتمر الوطني لرجال ونساء الميليشيا ، ورجال الحرس وحرب العصابات ، برسالة هذا نصها :
- « في الجيش . . . ينبغي لنا جميعاً أن نتقاسم الشدائد ، والآلام ، والمسرات . ويجب علينا أن نحرس على النظام ، وأن نكون يقظين ، وأن نعتصم بالهدوء عند ما يكون العدو أمامنا أو على مقربة منا ، وأن نكون ساهرين حين يكون العدو بعيداً .
- « أما فيما يتعلق بالشعب فيجب علينا أن ندافع عنه ، ونساعده ونجعله يضع ثقته فينا ، ويعجب بنا .
- « ويقضى علينا الواجب بأن نقيم قواعد المقاومة في كل مكان ، وأن نكون نشطين على الدوام .
- « ثم يجب علينا أن نواجه العدو بتصميم وشجاعة ، وأن نضع خططنا ببراعة ، وأن نتقدم دون أن نتقهقر أبداً ، وأن يكون بيننا تنافس على إبادة العدو ، والاستيلاء على أسلحته إلخ إلخ . أما أسرى الحرب فينبغي أن نعاملهم معاملة إنسانية .
- وعرج على مهمة رجال حرب العصابات ، فقال :
- « إن قوة حرب العصابات قوة هائلة تخوض غمار حرب التحرير الوطني . إذا وجد في الأراضي التي يحتلها العدو رجال عصابات في كل قرية ، وكل مركز وكل إقليم ، وإذا كان هؤلاء الرجال مترابطين ومنتظمين

على نطاق واسع ، فإن قوة حرب العصابات ستصبح شبكة من الحديد ، وفخا لا بد أن يقع فيه العدو ، ذلك أنه أينما ذهب فإنه سيصطدم دائماً برجال هذه القوة ، وكل ما يفعله سيكون مصيره التخریب .

إن رجال العصابات سيجعلون جنود العدو مكفوفين مع أن لهم عيوناً تبصر ، وسيصيبونهم بالصمم مع أن لهم آذاناً تسمع ، وبالشلل مع أنهم أصحاء . إن جانباً من قوات العدو سيباد ، شيئاً فشيئاً ، بواسطة رجال العصابات . أما الباقون الذين سيظلون أحياء فإن الذعر سيستبد بقلوبهم حتى ولو سمعوا ريحاً تهب ، أو عصفوراً يغنى ، وفي النهاية سيسحقون جميعاً »

ولقد أصبحت هذه التعليمات المبادئ التي بنى عليها الجيش الفيتنامي .

ومضى « هوشي منه » في الاهتمام ، إلى أقصى حد ، بتضامن الشعب كله ، ولهذا أنشأ « جبهة ألفيت منه » و « رابطة فيتنام الوطنية » ، وفي سنة ١٩٥١ اندمجت الرابطتان ، بناء على اقتراحه ، في هيئة واحدة سميت « جبهة فيتنام الوطنية المتحدة » .

ثم ناشد كل فئات الشعب ، دون أن يستثنى أية قوة أو أي فرد ، أن تخوض غمار حرب المقاومة . وتحدث إلى العمال قائلًا : إنهم يشكلون الطليعة التي تقود الثورة ، ثم أضاف :

« إن طبقتنا العمالية تدرك أن تحرير أمتنا هو الخطوة الأولى في سبيل تحريرها هي ، ومن ثم فإن طبقتنا العمالية جديرة بأن تشكل طليعة الأمة » .

وكان طبيعياً مادامت فيتنام بلاداً زراعية أن يقوم الفلاحون بدور رئيسي في حرب المقاومة ، وأن يضطلعوا بمهام أخرى في وقت واحد . وقد ذكرهم هوشي منه بأن عليهم أن يمحضوا في الإنتاج على أتم وجه مستطاع ليسهموا في حرب المقاومة ، قائلًا :

إن المقاتلين يحاربون في جبهات القتال لإتقاذ البلاد ، والفلاحين يبذلون جهوداً في حقول الأرض ليبنوا البلاد . إن المحاربين لا يدخرون وسعاً في سبيل الدفاع عن البلاد ، والفلاحين يحاولون ، ماوسعهم المحاولة ، أن يقدموا يد المساعدة إلى المقاتلين . هناك تباين بين العاملين ، بيد أن ثمة تعاوناً بينهما في الواقع . ومن ثم فإن كلام الفريقين يضم أبطالا .

ووجه هوشى منه الكلام إلى الأقليات الوطنية قائلا :
إن أرضنا وحكومتنا ملك لنا جميعاً ، ولهذا يجب على كل أقلياتنا الوطنية أن تتضافر وتتحد للدفاع عن الأرض والحكومة .
وتحدث إلى الشيوخ قائلا :

إننا شيوخ ، ولا يسعنا أن نقوم بأعمال مرهقة ، ولكننا إذ نتكىء على عصينا ، سنقود الشبان ونشجعهم ، ونعطيهم كل ما لدينا من خبرة .
وقال موجهاً كلامه إلى النساء (١) .

إن نساءنا يقمن بمهمة عظيمة في حرب المقاومة العظيمة التي تخوضها الأمة . والأراضي الفيتنامية تزداد جمالا وروعة بفضل الجهود التي تبذلها النساء — الشابات والمسنات — لتجميلها... ومهمة النساء في الوقت الحاضر هي :

١ — توثيق الصلات بين النساء من كل الفئات ، وبين الفيتناميات اللاتي يعشن في البلاد الشقيقة ، وكل النساء الديمقراطيات في العالم .

٢ — التنافس على زيادة الإنتاج ، وعلى الاقتصاد في المصروفات .

٣ — الإسهام بكل حماسة في شئون الدولة .

٤ — مساعدة الجيش .

٥ — حماية الأطفال .

وقال في حديث وجهه إلى الشباب :

« إن شعار شبابكم هو يد تحمل علماً أحمر فيه نجمة ذهبية ، ومعنى ذلك أن على الشباب أن يكون قدوة في العمل ، والدراسة ، وتوفير

(١) في الاحتفال بيوم النساء الدولي في ٨ مارس سنة ١٩٥٢ .

عوامل التقدم ، وفي الفضائل الثورية . يجب أن يصبح الشباب قوة هائلة في « حرب المقاومة » ، وإعادة تعمير البلاد ، وأن يكون ، في الوقت نفسه ، ذا حيوية وقوة معنوية عالية .

« يتحتم أن تكون لهم روح خلاقية ، وشجاعة ، وحماسة ، وطاقة تمكنهم من التقدم ، والتغلب على الصعاب . . . » .
أما الأطفال فقد خاطبهم « هوشى منه » قائلاً :

« يجب أن تفعلوا كل ما يفيد « حرب المقاومة » والوطن . . . إنكم صغار ، ولا يسعكم إلا أن تقوموا بمهام صغيرة . ولكن إذا تعددت المهام الصغيرة أصبحت مهمة كبيرة » .

وقال في وصف بطولة أهالي فييتنام الجنوبية :
« إن مواطنينا في فييتنام الجنوبية — الذين يحاربون ببطولة — هم جزء لا يتجزأ من الشعب الفيتنامي . إن الأنهار قد تجف ، والجبال قد تزول ، ولكن هذه الحقيقة لا يمكن أن تتغير . . . »

إنهم يناضلون منذ أمد بعيد ، وقد بذلوا تضحيات ضخمة . . . وأعمالهم البطولية أصبحت أمثلة تحتذى بواسطة مواطنيهم في شتى أرجاء البلاد .

* * *

وغنى عن الذكر أن صوت « هوشى منه » كان يتغلغل في أعماق القلوب ، وبفضل ذلك أصبح الشعب الفيتنامي صلباً كالصخرة ، قوياً كالحصن ، ومن ثم لم تفلح كل المناورات الخبيثة التي قام بها الاستعمارون الفرنسيون والإمبرياليون الأمريكيون لبذر بذور التفرقة والانقسام والتمزق ، وفشلت محاولاتهم لإنشاء دويلات ذات حكم ذاتي ، واستعداد الكاثوليك والبوذيين ، وحمل الفيتناميين على محاربة الفيتناميين .
ومن الثابت المحقق أن « هوشى منه » كان يدرك إدراكاً عميقاً ، القوة الخلاقية التي تنطوي عليها نفوس الجماهير الثورية ، فبعد أن أسفرت

« حرب المقاومة » عن إحراز انتصارات ذات بال في « فييت باك » -
أقصى الشمال في فييتنام - خلال سنة ١٩٤٧ - دعا إلى التنافس الوطنى
قائلا :

كل شخص يجب أن ينافس غيره .
ويجب أن يكون ثمة تنافس بين كل فرع .
تنافسوا يوميا .
سنتنصر ما في ذلك شك .
وسيمنى العدو بالهزيمة حتماً .

وحث الأهالى على أن يضاعفوا جهودهم ، ويعملوا بسرعة ، ويتفوقوا
على أنفسهم ، ليتمكنوا من المضي في « حرب المقاومة » على أرم وجه ،
ويعيدوا بناء البلاد .

واستجاب الشعب لذلك النداء على الفور .
ففي ساحة الوغى كان الجنود الفيتناميون يتنافسون في إبادة العدو ،
وإحراز انتصارات مثيرة . وفي المؤخرة كان الأهالى يعملون على أساس
أن مزارع الأرز هي جبهات قتال ، وأن المحاريث هي أسلحة ، وأن
الفلاحين مقاتلون ، وأن الخط الخلفى يتنافس مع الخطوط الأمامية .
على هذا النحو أصبحت حركة التنافس الوطنى على خوض غمار « حرب
المقاومة » ، وعلى إعادة تعمير البلاد في الوقت ذاته ، حركة جماهيرية
تلقائية ، وغدا كل فييتنامى مقاتلا في واحدة من الجبهات العسكرية ،
والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية .

ومما يدعو إلى الإعجاب حقا أن تلك الحركة التنافسية تطورت إلى قوة
دافعة كفلت لرجال « حرب المقاومة » النصر تلو النصر ! .

الفصل الحادى عشر

ديان بيان فو

فى غضون سنة ١٩٤٩ بدأت الثورة الصينية تتقدم صوب النصر النهائى ، فعلى الرغم من المساعدات الضخمة التى كان يتلقاها تشيانج كاي شيك من الولايات المتحدة ، منيت قواته بسلسلة من الهزائم المنكرة ، واستطاع جيش التحرير الصينى ، بزعامة الحزب الشيوعى الذى يرأسه ماوتسى تونج أن يحرر أولا المناطق الشمالية الغربية ، ثم بكين وشنغهاى ، وأن يجتاز نهر يانجتسى ، وبعد أن حرر نانكين ومناطق الصين الجنوبية ، زحف حتى أصبح على مقربة من الحدود الصينية الفيتنامية . وإن هى إلا فترة وجيزة بعد ذلك حتى اكتسح جيش التحرير قوات تشيانج كاي شيك وأكرهها على التقهقر والانسحاب من الأراضى الصينية .

وفى يوم أول أكتوبر من العام نفسه تأسست جمهورية الصين الشعبية . وكان للنجاح العظيم الذى سجلته الثورة الصينية مغزى قوى بعيد المدى ، إذ أنها كانت تمثل الحدث التاريخى الثانى من حيث الأهمية الدولية بعد ثورة أكتوبر الروسية .

وكان طبيعيا أن يثير نجاح الثورة الصينية حماساً ما بعده حماس فى نفوس رجال « حرب المقاومة » فى فيتنام ، وأن يحرك أقوى المشاعر الوطنية فى نفوس الشعوب الآسيوية التى كانت تتطلع إلى الاستقلال والحرية .

وهكذا انتهى العهد الذى كانت الدول الاستعمارية تقرر فيه مستقبل ومصير بلدان الشرق الأقصى .

وفي شهر يناير سنة ١٩٥٠ اعترفت حكومات الاتحاد السوفيتي ، والصين ، وغيرهما من الدول الاشتراكية بحكومة جمهورية فيتنام الشعبية . وفي الوقت نفسه لقيت « حرب المقاومة » الفيتنامية تأييداً شعبياً في فرنسا نفسها ، وفي بلدان عديدة في شتى أنحاء العالم .

وفي شهر أكتوبر من العام ذاته قررت اللجنة المركزية « للحزب » الفيتنامي الشروع في تنظيم عملية عسكرية عند مناطق الحدود . وأصدر « هوشي منه » تعليمات إلى الجيش قال فيها :

« إن حملة "كاوباك لانج" على أعظم جانب من الأهمية ، ونحن مصممون على كسب هذه المعركة ،

« ولكي نكسب هذه المعركة يجب على المقاتلين في هذه الجبهة أن يكونوا شجعاناً مائة في المائة . وعلى الذين يعملون في مختلف المناطق ، وفي ميادين القتال ، أن يفعلوا كل ما في وسعهم في سبيل التنافس فيما بينهم على إبادة العدو ، وإحراز انتصارات عسكرية . . . وبذلك يمنعون العدو من إنقاذ رجاله الذين يحاربون في جبهة كاوباك لانج » .

وذهب « هوشي منه » بنفسه إلى جبهة القتال لتشجيع المقاتلين ، وحثهم على إنزال أقصى الهزائم بالعدو ، وكان لأحاديته معهم فعل السحر ، إذ لم تمض فترة وجيزة حتى ظفروا بنصر مبین في جبهة « كاوباك لانج » بعد أن جشموا العدو خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ، ثم استطاعوا أن يحرروا خمسة أقاليم بما أبدوه من بسالة مثالية . وكان من أثر تحرير مناطق الحدود أن تم الاتصال بين فيتنام وبين دول العالم الاشتراكي .

وفي أثناء احتفال الشعب الفيتنامي بالانتصارات الباهرة التي حققها قواته المسلحة ، عقد « الحزب » مؤتمره الثاني في شهر فبراير سنة ١٩٥١ ، وقرر المؤتمر تغيير اسم الحزب إلى « حزب العمال الفيتنامي » وتلا « هوشي منه » في المؤتمر تقريراً سياسياً تضمن تحليلاً لسياسات الحزب في شتى مراحل الحركة الثورية ، وعهد إلى الحزب وإلى الشعب كله بمهمة

الوصول بحرب المقاومة إلى النصر .

وأطرى الشعب لما أبداه من وطنية صادقة فقال :

« إن نفوس أفراد شعبنا مفعمة بالوطنية الحارة ، وهذه هي تقاليدنا التي لا تقدر بثمن ، فمنذ أقدم العصور كانت هذه الوطنية الجارفة تتجلى كلما تعرضت بلادنا للغزو ، وتتحول إلى موجة قوية تكتسح في طريقها كل الأخطار والصعاب ، وتغرق الخونة والمعتدين » (١) .

وتجلى إذ ذاك تضافر أعضاء الحزب وتماسكهم ، وتعاونهم الوثيق ، وكان ذلك نصراً جديداً في الحياة السياسية للشعب الفيتنامي الذي أصبح كرجل واحد بزعامة الحزب ، وقيادة « هوشي منه » ، وبذلك اتسع نطاق حرب المقاومة .

* * *

وفي أثناء حرب المقاومة عني « هوشي منه » ببذل كل ما في طاقته من جهد في سبيل تثقيف الشعب سياسياً ، والارتفاع إلى السمت بالتفكير العقائدي ، والفضائل الثورية ، وأسلوب حياة الكادرات وأعضاء الحزب .

ففي رسائله إلى « الرفاق في فيتنام الشمالية » و « الرفاق في فيتنام الوسطى » ، وفي كتابه « في سبيل تحسين أسلوب العمل » نجده يبرز الأخطاء والعثرات ، ويوضح للرفاق الوسائل الكفيلة بالتغلب عليها ، ويقول إن الفضائل الثورية هي :

الوعي العام ، والعمل ، والاقتصاد ، والاستقامة ، والشرف .

وبعد انتهاء المؤتمر الثاني للحزب تحدث « هوشي منه » عن واجبات الحزب فقال :

« يجب على حزبنا ، بوصفه حزباً قائداً ، أن يكون قوياً سليماً ، وأن يكون خير قدوة ومثل » .

(١) راجع « كتابات هوشي منه المختارة » .

« ويجب على الحزب كله أن يكون متحداً عقلياً وعملياً ، وهو لا يستطيع أن يضطلع بمهمته إلا إذا كان كرجل واحد » .
 « إن مهمة الحزب هي الارتفاع بالمستوى العقائدى والسياسى لأعضائه والكادرات ، وبذلك يمكنهم من أن يكونوا لأنفسهم وجهة نظر بروليتارية صحيحة » .

ومضى يقول :

« نحن ، أعضاء الحزب ، أناس عاديون لأننا جميعاً أبناء الطبقة العاملة ، والشعب يكد ويتعب . ونحن نعرف شيئاً واحداً هو أن نكن الإخلاص والولاء للبروليتاريا ، وقد صممنا على النضال لصالح الشعب ، هذا كل ما فى الأمر ، وحزبنا عظيم جداً لأننا أناس عاديون جداً ، ولا يهتم حزبنا بشيء آخر غير مصلحة الوطن ، ومصالح الشعب » .

وكانت « حرب المقاومة » كلما ازدادت اتساعاً وعنفاً واستعاراً ، اشتدت حاجتها إلى مزيد من القوات . ومن ثم رأى « هوشى منه » وأعضاء اللجنة المركزية للحزب ، أن الموقف يقتضى تنفيذ برنامج للإصلاح الزراعى يستهدف تعزيز مؤخرة حرب المقاومة ، والقضاء على النظام الإقطاعى فى الوقت نفسه .

وفى هذا قال « هوشى منه » :

« إن مفتاح نجاح حرب المقاومة هو تقوية « الجبهة الوطنية المتحدة » وتوسيعها ، وتعزيز التحالف القائم بين العمال والفلاحين ، وسلطة الشعب ، وتنمية الجيش ، ثم تقوية زعامة الحزب على نحو شامل . وتحتم الضرورة تعبئة الجماهير لكى تنفذ برنامج الإصلاح الزراعى . . . » .
 وفى سنة ١٩٥٣ ظفرت « حرب المقاومة الفيتنامية » بسلسلة من الانتصارات العظيمة أكرهت القوات الفرنسية على اتباع أساليب الحرب الدفاعية ، وجشمتها خسائر فادحة فى جميع ميادين القتال .

والواقع أن الحرب في الهند الصينية تحولت إلى قبر عميق الغور دفن فيه الفيتناميون عدداً كبيراً من الجنرالات الموهوبين ، والجيوش القوية ، والأموال . . . ثم اسم فرنسا نفسه ! .

ولقد حدث ، إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أن بدأت الولايات المتحدة تحاول التدخل في شئون الهند الصينية توطئة لاحتلالها ، ولهذا حرصت على أن تمد الفرنسيين بكل ما كانوا يحتاجون إليه لكي يطيلوا أمد الحرب .

وعمد الفرنسيون ، على الفور ، إلى تنفيذ الخطة الإمبريالية الأمريكية فأرهبوا قواتهم في الهند الصينية ، وأرغموها على الزحف بكل ما لديها من وسائل لاحتلال « ديان بيان فو » . وكانت خططهم تقضى بالتوغل بعمق خلف القوات الفيتنامية لتطويقها ، والقضاء على مقاومتها .

ورأى « هوشى منه » ، بعد أن أدرك حقيقة نيات الفرنسيين ، أن يتدارس الموقف مع أعضاء اللجنة المركزية للحزب ، وكان رأى عندهم جميعاً ، بما فيهم أستاذ أستاذة حرب العصابات الجنرال « فونجوين جياب » ، أن الفرصة قد حانت لإبادة العدو .

واستقر رأى « هوشى منه » على حشد الجانب الأكبر من القوات الفيتنامية للقضاء على العدو في « ديان بيان فو » . وحين أتمت هذه القوات تطويق كل القوات الفرنسية بحزام من الحديد ، وأوشكت أن تبيدها قال « هوشى منه » :

« إن الحكومة الفرنسية هي التي أشعلت الحرب . ولقد اضطّر الشعب الفيتنامي إلى استخدام الأسلحة ببطولة للقتال خلال الأعوام السبعة أو الثمانية الماضية ، وذلك لصون استقلاله وحرية ، ولكي يعيش في سلام » .

« والآن . . . إذا مضى الاستعماريون الفرنسيون في حربهم العدوانية ،

فإن الشعب الفيتنامي موطن العزم على الاستمرار في حربه الوطنية حتى النصر النهائي .

« ولكن إذا أرادت الحكومة الفرنسية أن تتعظ بما حدث في الحرب خلال بضعة الأعوام الأخيرة ، ورغبت في وقف القتال عن طريق المفاوضات ، وتسوية المسألة الفيتنامية بالوسائل السلمية ، فإن حكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية ستكون على استعداد للترحيب بذلك » (١) .

وفي يوم ١٧ مايو سنة ١٩٥٤ فرغت القوات الفيتنامية من القضاء على القوات الفرنسية في « ديان بيان فو » ، وقد أرغم ذلك الانتصار العظيم الدول الاستعمارية على توقيع اتفاقيات جنيف التي انتهت بمقتضاها الحرب العدوانية ، وعاد السلام إلى الهند الصينية . واعترفت تلك الدول باستقلال بلاد الهند الصينية ، وسيادتها على أراضيها .

وكانت اتفاقات جنيف تنص على توحيد فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية بعد عامين على أساس انتخابات عامة تجرى في شطري البلاد .

وهكذا تحررت فيتنام الشمالية بعد أن خاضت حرب المقاومة طوال تسعة أعوام أظهر خلالها الفيتناميون بطولة قل أن يكون لها نظير ، وأنزلوا بإحدى الدول الاستعمارية الكبرى هزيمة قضت على وجودها في تلك المنطقة قضاء مبرماً .

ولقد قال « هوشي منه » في ذلك اليوم التاريخي :

« لا وجود لجيش أو سلاح يستطيع القضاء على روح التضحية في نفوس الفيتناميين » .

(١) رد على أسئلة لمراسل صحفي أجنبي في شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ -
« كتابات هوشي منه المختارة » .

وفي شهر يوليو من العام نفسه عقدت اللجنة التنفيذية للحزب دورتها السادسة ، وتحدث « هوشى منه » إلى الأعضاء عن « الموقف الجديد والمهام الجديدة » ، فحلل خصائص الموقف في العالم ، والموقف الداخلى ، وأبرز حقيقة ذات بال هي أن القوات الفيتنامية في نمو مطرد على الرغم من انقضاء ثمانية أعوام أو تسعة على بدء حرب المقاومة . وقال إن العدو الأول للشعب الفيتنامى هو الإمبريالية الأمريكية التي تعادى الحركة الدولية في سبيل السلام والديمقراطية ، وإن قوى الإمبريالية الفرنسية بدأت تخور بعد أن أثبت إلا أن تشعل الحرب في الهند الصينية ، وباتت أكثر اعتماداً على الإمبريالية الأمريكية .

ثم قال : « إن الطبقة الحاكمة الفرنسية انقسمت إلى معسكرين أحدهما يصر على المضي في الحرب ، والثاني يميل إلى الصلح والسلام ، وهذا المعسكر الثانى الحاكم هو الذى يتفاوض معنا » .
وأمام هذا الموقف وضع « هوشى منه » شعارات جديدة لنضال الحزب والشعب كله :

السلام ، الاتحاد ، الاستقلال ، الديمقراطية .
وقد استقر الرأى أثناء دورة اللجنة التنفيذية على تغيير المبادئ التوجيهية وسياسات النضال على النحو الآتى :

توجيه رأس حربة النضال إلى الإمبرياليين الأمريكيين وإلى الفرنسيين وبذل كل الجهود في سبيل إعادة السلام في الهند الصينية ، والقضاء على المؤامرة التي دبرها الإمبرياليون الأمريكيون للمضي في الحرب وتوسيع نطاقها ، وتعزيز المكاسب والإنجازات التي تمت لتحقيق الوحدة ، وتوفير كل مقومات الاستقلال ، والديمقراطية ، في كل أنحاء البلاد .
وهكذا انتقلت فيتنام من النضال المسلح إلى النضال السياسى ، وخطت الثورة الفيتنامية خطوة جديدة لبناء الاشتراكية في الشمال ، وإتمام الثورة الديمقراطية الشعبية في كل أرجاء البلاد ، وتوحيدها سلمياً .

الفصل الثاني عشر

التقسيم . . .

بينما كان « هوشى منه » يتخذ — بمساعدة الجنرال جياب — الإجراءات الكفيلة بتسديد ضربات قاتلة إلى القوات الفرنسية في الأراضي الفيتنامية في غضون عام ١٩٥٣ ، بدأت تظهر في فرنسا حركة قوية عارمة استهدفت وضع حد لتلك الحرب الدائرة في بلاد الهند الصينية النائية ، والتي تكلف فرنسا نفقات باهظة .

وكان كثير من الفرنسيين يرون أن تلك الحيلة الاستعمارية الفرنسية التي استحالَتْ إلى حرب أهلية ، ثم إلى حملة ضد الشيوعية ، تتطور على نحو يندر بنشوب حرب عالمية جديدة .

وكان الرأي السائد في دوائر باريس الرسمية أن وفاة ستالين في شهر مارس من ذلك العام فتحت آفاقاً دبلوماسية جديدة في العلاقات بين المعسكرين الشرقي والغربي ، وأن الواجب يقضي بالاهتداء إلى حل جديد غير الحل الذي كان قائماً على « مساندة الإمبراطور باوداي » الذي لم يؤد منذ سنة ١٩٤٩ إلا إلى إيجاد بعد جديد للمشكلة (١) .

ولكن ما الذي كان يريده « هوشى منه » ؟

هذا هو السؤال الذي كان الرسمىون الفرنسيون يوجهونه إلى أنفسهم في ذلك الوقت . وقد اهتم بهذا السؤال « سفن لوفجرين » مراسل صحيفة « إكسبريس » السويدية في باريس بعد أن استمع إلى نقاش اتحاد دار

(١) راجع « هوشى منه » تأليف « جان لاكوتير » ص ١٥٧ وما

في مجلس النواب الفرنسي حول نيات الـ « فييت منه » . وقرر ، على الفور ، أن يرسل في نهاية شهر أكتوبر مجموعة من الأسئلة إلى « هوشي منه » عن طريق السفارة السويدية في بكين ، ورأى أن يركز معظم أسئلته على الشروط التي يجب توافرها لوقف القتال والوصول إلى تسوية سياسية .

وفي يوم ٢٦ نوفمبر تلقى « لوفجرين » إجابة « هوشي منه » وهذا نصها :
« إذا كان الشعب الفيتنامي قد اضطر إلى حمل السلاح والقتال ببطولة منذ سبعة أعوام أو ثمانية ، فلماذا فعل ذلك دفاعاً عن استقلاله ، وعن حقه في الحياة . وسيواصل الفيتناميون حربهم الوطنية حتى النصر النهائي ما دام الفرنسيون مستمرين في حربهم العدوانية » .

وأضاف « هوشي منه » قائلاً :

« ولكن إذا شاءت الحكومة الفرنسية ، بعد أن لقنتها الحرب الراهنة عدة دروس ، الوصول إلى هدنة بالمفاوضات ، وحل المشكلة الفيتنامية بالوسائل السلمية ، فإن جمهورية فييتنام الديمقراطية — حكومة وشعباً — ستكون مستعدة للإجابة بطريقة مرضية » .

وقد نشر رد « هوشي منه » في صحيفة « إكسبريس » في اليوم التالي .
وسمع « لوفجرين » وقتئذ رجال وزارة الخارجية الفرنسية يقولون في سخرية واضحة — « هل يريدون منا أن ندير دبلوماسيتنا على أساس هذا الكلام الصحفي ؟ . . . كلا . . . لن نفعل ذلك ! » .

بيد أن الرأي العام الفرنسي لم يسمح للحكومة الفرنسية التي كان يرأسها « لا نيل » بأن تهمل أية فرصة ، مهما كانت ضئيلة ، للخروج من تلك الورطة .

ولقد حدث آنئذ أن قرر مؤتمر برلين الذي عقد في يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٥٤ ، واشتركت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا

وفرنسا ، عقد مؤتمر رباعى آخر فى شهر أبريل لبحث المشكلات الآسيوية .

وفى غضون ذلك أعرب « رينيه بليفان » وزير الدفاع الفرنسى عن أمله فى أن يوضح « هوشى منه » أمانيه ، وبلخا - لكى يتصل بزعيم الـ « فييت مينه » - إلى « ألن سافارى » النائب الاشتراكى الذى كان قد استطاع ، فى عام ١٩٥٢ ، الاتصال بالـ « فييت مينه » .

ولكن تلك المحاولة ذهبت هباء ، ذلك أنه على الرغم من أن رئيس الجمهورية الفرنسية أيدها ، فإن جورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية رفض الفكرة رفضاً باتاً وقال : « إن الـ « فييت مينه » يوشك أن ينهار ، واتصالكم برجاله من شأنه أن يعزز قوتهم المعنوية . . . » .

بيد أن « سافارى » رد عليه قائلاً : « إنك تتحمل فى هذا الشأن مسئولية رهيبية » .

وهكذا انطوت ثلاثة أشهر دون أن يحدث شىء . وعند ما تراجع « بيدو » ، آخر الأمر ، فى موقفه ، كانت معركة « ديان بيان فو » قد انتهت باندحار الفرنسيين .

ومن العسير أن نعرف الدور الحقيقى الذى قام به « هوشى منه » فى المفاوضات الكبرى التى جرت فى برلين ، وفى مفاوضات جنيف التى بدأت فى اليوم السابع من شهر مايو ، حيث قال ممثل فييتنام العسكرى : إنه ليس لديه اعتراض على الخطة المقترحة لتقسيم فييتنام مؤقتاً ، وهى الخطة التى تمت الموافقة عليها يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٥٤ .

ولكن من المحقق أن ممثل فييتنام العسكرى لم يقبل التقسيم - المؤقت بطبيعة الحال - للأرض الفيتنامية ، على أن يجرى فيما بعد استفتاء حول إعادة توحيد شطريها ، إلا بعد أن استطاع « هوشى منه » العجوز بلباقته وحججه القوية ، أن يقنع رفاقه بوجاهة هذا الحل .

وفى يوم ٢٣ يونيو سافر « شواين لاي » الذى كان قطباً فى المحادثات ،

بعد أن اجتمع بمنديس فرانس رئيس الوزارة الفرنسية إذ ذاك في مدينة بيرن ، إلى الشرق الأقصى للتباحث مع زملائه ، والتشاور مع الزعماء الآسيويين ، وبعد أن زار الرئيس الراحل «جواهر لال نهرو» ، التقى يوم ٣ يوليو عند الحدود الصينية الفيتنامية بـ « هوشى منه » . وبعد أن اتفق معه على شروط الاتفاق عاد إلى جنيف .

وفي يوم ١٣ يوليو التقى شواين لاي بمنديس فرانس مرة أخرى . ولما سأل رئيس الحكومة الفرنسية وزير الخارجية الصينية عن رغبات « هوشى منه » ابتسم قائلاً : « إن كل من قابلتهم من ساسة فيتنام لا يريدون إلا السلام » .

ثم أضاف شواين لاي قائلاً بلهجة شديدة الشبه جداً بلهجة هوشى منه « :

« يجب على كل من الجانبين أن يخطو بضع خطوات نحو الجانب الآخر . . . وليس معنى ذلك أن يخطو كل منهما نفس عدد الخطوات . . . » .

وفي تلك الأثناء تحدث « هوشى منه » إلى أعضاء اللجنة المركزية للحزب قائلاً :

« في هذه الظروف الجديدة يجب أن يحل السلام والوحدة الوطنية ، والاستقلال ، والديمقراطية محل « المقاومة حتى النهاية » . . . وعند ما يدخل المرء في مفاوضات ينبغي له أن يقدم « تنازلات » إذا فعل الشخص الذى يفوضه الشئ نفسه . . . لقد كنا نقول ، فيما مضى : طاردوا وحطموا الحملة الفرنسية . أما اليوم فقد وافق الفرنسيون على سحب جيشهم في موعد محدد . . . وفي الماضي لم يكن ثمة وجود « للاتحاد الفرنسى » بالنسبة لنا ، أما الآن فإننا نقبل التفاوض للانضمام إلى « الاتحاد الفرنسى » ، على أساس مبدأ المساواة المطلقة . . . » .

وعرج « هوشى منه » على التقسيم المؤقت لفيتنام الذى قبله مندوبو

« فييت مينه » في جنيف ، فقال :

« . . . إن هذا إجراء مؤقت لإعادة توحيد الوطن . . . إن مواطنينا الذين يقيمون في مناطق كانت حرة حتى الآن سيغضبون عند ما يحتل العدو تلك المناطق مؤقتاً ، وستسود الدنيا في أعين بعضهم ، وسيستبد بهم اليأس ، وعندئذ يتمكن أعداؤنا من استغلالهم . ومن ثم يجب علينا أن نوضح لهم أنه يجب عليهم أن يتحملوا هذه الظروف لأن ذلك في صالح البلاد كلها . . . وستعرف لهم الأمة كلها بالجميل . . . »

ومضى « هوشى منه » يقول :

« ومن المحتمل أن تحدث الأخطاء الآتية : انحراف اليسار . . . أناس تسكرهم الانتصارات المتوالية فيرغبون في مواصلة القتال بأى ثمن حتى النهاية . وهؤلاء أشبه برجل يرى شجرة دون أن يرى الغابة . . . فهم يفرحون بتقهقر العدو دون أن يتنبهوا إلى مناوراتهم . . . إنهم يرون الفرنسيين دون أن يلمحوا الأمريكيين ، ويهتمون بالعمل العسكرى اهتماماً شديداً ويقالون من شأن العمل الدبلوماسى . وهم لا يدركون أن نضالنا العسكرى يجب أن يكون مقترناً بنضال فى المؤتمرات الدولية سعياً وراء الهدف نفسه ، ويشترطون شروطاً مجحفة ، لا يقبلها الخصم . . . ولا يريدون أن يفهموا أن الكفاح فى سبيل السلام معقد . وإذا تخاذلنا أمام هؤلاء القوم فإننا سنجد أنفسنا معزولين ، ومنفصلين عن شعبنا ، وعن شعوب العالم ، وعندئذ يصل بنا الأمر إلى حد الفشل . »

ثم ختم كلامه قائلاً فى صراحة مذهلة :

« أما انحراف اليمين فإنه يمثل قنوطاً ، وتقديم « تنازلات » لا تستند إلى مبدأ . ولا كان اليمينيون لا يؤمنون بقوة الشعب فإنهم يضعفون روحه النضالية ، وينسون أننا تعودنا على تحمل المشاق ، ولا يتطلعون إلا إلى حياة هادئة كلها يسر » (١) .

إن هذا الكلام الذى قاله العم « هو » فى اجتماع اللجنة المركزية ، ولا سيما حديثه عن « اليسارية » و « اليمينية » يدل على أنه بذل جهداً ضخماً لإقناع خصوم أقوياء أسكرهم النصر العسكرى العظيم الذى تم إحرازه فى « ديان بيان فو » بعد ثمانى سنوات بذل فيها الفيتناميون جهوداً مضنية ، وتحملوا ألواناً من التقشف والحرمان ، واستطاعوا أن يسيطروا على ثلثى أرض الوطن

وهنا نرى أن نتساءل : كيف كان يفكر الزعيم العجوز عند ما عرف الشعب الفيتنامى فى ليلة ٢١ - ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٤ أن اتفاق الهدنة تم توقيعه ؟ هل كان يعتقد أن أهالى الجنوب سيطلبون بالإجماع ، فى استفتاء عام ، الانضمام إلى الشمال ؟

عند ما أبلغه الجنرال « جياب » ، قبل ذلك ببضعة أيام ، أن « ديان بيان فو » سقطت فى أيدي الفيتناميين ، قال فى هدوء ودون أى انفعال : « مهما يكن هذا النصر عظيماً فإنه ليس إلا البداية . . . » .

وفى العاشر من أكتوبر عاد العم « هو » إلى هانوى ، بعد انقضاء ثمانية أعوام على رحيله لتنظيم حركة المقاومة من أماكن سرية ، وخمسة أشهر على سقوط « ديان بيان فو » ، وشهرين على توقيع اتفاقات جنيف

عاد فى هدوء كأنما تسلك إلى العاصمة ، ذلك أنه كان حريصاً على أن يكون إكليل الغار من نصيب « جياب » ورجاله ، أبطال جيش الشعب .

الفصل الثالث عشر

الزعيم والشعب

قال العم « هو » في شهر يوليو من عام ١٩٥٤ ، قبل عودته إلى هانوى : « السلام . . . ليس معناه سلاماً دائماً » . وأوصى الشعب بأن يذكر دائماً . أن النضال في سبيل توطيد أركان السلام ، وإعادة توحيد شطرى البلاد ، وتحقيق النصر الكامل والديمقراطية ، هو نضال شاق طويل (١) .

لقد شرعت فييتنام الشمالية تعمل من أجل التعمير الاقتصادى ، والتثام الجراح التى نجمت عن الحرب ، والتقدم ، رويداً رويداً ، في طريق الاشتراكية .

وفي أثناء ذلك كان الإمبرياليون الأمريكيون يبذلون في الجنوب ، بمساعدة عصابة الخائن « نجو دينه ديم » ، كل جهد مستطاع لتحويل فييتنام الجنوبية إلى مستعمرة أمريكية من طراز جديد ، وبذلك نقضوا اتفاقات جنيف نقضاً صريحاً صارخاً ، وحالوا دون إقرار السلام وإقامته على دعائم ثابتة حتى يكتب له الاستمرار ، وحالوا بوسائلهم الاستعمارية الخبيثة دون توحيد شطرى البلاد .

غير أن العم « هو » لم يفقد الأمل في توحيد شطرى البلاد ، ولهذا حث الشعب على مضاعفة الإنتاج ، والاقتصاد في المصروفات ، وذلك لبناء الاشتراكية التى تعد أساساً للنضال في سبيل الوحدة الوطنية .

(١) هوشى منه : « كتابات مختارة » .

وفي هذا قال :

« إن « الشمال » هو الأساس ، وفيه جذور قواتنا المقاتلة . ولا يمكن أن يكون البيت متيناً إلا إذا كان أساسه قويا . والأشجار لا تكبر وترعرع إلا إذا كانت جذورها قوية . ومن ثم يجب علينا أن نجتهد ، بكل ما لدينا من قوة « لتعزيز » « الشمال » تعزيزاً شاملاً يكفل له القوة والصلابة ، والتقدم » .

وتحدث عن توحيد شطرى البلاد فقال :

« إن الشمال والوسط والجنوب . . . إنما هي بلادنا نحن . ومن المحقق أن بلادنا ستوحد ، وأن مواطنينا سيتحررون . . . » .
وأضاف قائلاً في لهجة قوية :

« إن مواطنينا في الجنوب سبقونا جميعاً في خوض غمار حرب المقاومة ومعنى ذلك أن وعيهم الثوري قوى جداً . ويقىني أنهم سيضعون المصالح القومية فوق أية مصالح أخرى ، وأنهم سيناضلون مع مواطنينا في سائر أرجاء البلاد ، بغية تعزيز السلام ، وتحقيق الوحدة الوطنية ، وإتمام دعائم الاستقلال والديمقراطية . إننا - الحزب والحكومة وأنا - نتبع الجهود التي يبذلها مواطنونا في الجنوب ، ونحن واثقون في قدرتهم على الانتصار . . . » .

ومضى يقول إيماء إلى العدوان الأمريكي بمساعدة الخونة المتواطئين مع واشنطن في الجنوب :

« لا يسعني أن أتناول طعامي بشبهة ، أو أنام نوماً عميقاً ، ما دام وطننا لم يوحد بعد ، وما دام مواطنونا في الجنوب يعانون صنوفاً من العذاب إننى أعدكم رسمياً ، أيها المواطنون في الجنوب ، بأن فييتنام الجنوبية العزيزة ستعود إلى للوطن بتصميمنا وتصميم الشعب كله » .

« إن طبيعة الصخرة هي الثبات في مكانها دون أقل حركة ، ولكن

إذا استجمع عدد من الأشخاص قواهم ، وأصبحوا كرجل واحد ، استطاعوا أن يحركوا الصخرة أيا كانت ضخامتها .

« إننا نستجمع قوانا ، كرجل واحد ، مصممين على تعزيز " الشمال " وتنفيذ برنامج جبهة الوطن الفيتنامي : إن قوتنا عظيمة الدفع إلى أبعد حد . ولن نستطيع العصاة الأمريكية الفيتنامية الجنوبية الخائنة أن تظل مستقرة في مكانها كالصخرة .

وما برح الشعب الفيتنامي ، من الشمال إلى الجنوب ، يذكر الخطاب الذي ألقاه « هوشي منه » في سنة ١٩٥٥ بمناسبة تحرير الشمال تحريراً تاماً . لقد قال آنذاك :

« إننا نسير قدماً إلى الأمام بفضل قوة شعبنا المتحد ، مؤمنين أعمق الإيمان ، بعظمة المستقبل الذي ينتظر بلادنا ، وبروح النصر التي تعمر قلوب أفراد أمتنا الباسلة . لقد انتصرنا على طول الخط خلال حرب المقاومة البطولية التي خضناها في الأعوام الثمانية أو التسعة الأخيرة وسنتصر في نضالنا السياسي الراهن .

لقد لبى شعب فيتنام الشمالية نداء رئيسه « هوشي منه » ، فضى بهمة ، وعزم ، وإصرار ، في تنمية التقاليد الثورية ، وبذل كل ما في طاقته من جهد في سبيل الارتفاع بصرح الاشتراكية .

وبفضل التوفيق في إتمام برنامج الإصلاح الزراعي تحقق حلم يرجع عهده إلى أكثر من ألف سنة هو « الأرض لمن يفلحها » ، وتحرر الفلاحون من نير الملاك الإقطاعيين .

وسرعان ما تحولت فيتنام الشمالية من بلد زراعي متأخر إلى بلد يسير في ركب المدنية والحضارة ، ويأخذ بأسباب الصناعة على أوسع نطاق ممكن ، وذلك بفضل المساعدات الكبيرة التي تلقاها من الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية .

وهكذا أنشئت صناعات جديدة واستغلت المناجم القديمة، ونمت الطبقة العاملة ، وتسابق ملايين من المتلهفين في حماس شديد على الانضمام إلى الجمعيات التعاونية ، وتعاضم التنافس على مضاعفة الإنتاج بكل الوسائل المتاحة .

وفي المدن أدى تطبيق القوانين الاشتراكية على الصناعات الرأسمالية الخاصة إلى نتائج باهرة، وطفق صغار التجار وأصحاب المؤسسات الصغيرة ، يسرون في طريق النشاط التعاوني ، وأصبحت فيتنام تصدر منتجاتها المختلفة إلى عدد من البلاد لا يستهان به ، واتسع نطاق التربية والتعليم والأعمال الثقافية ، مما أدى إلى النهوض بالحياة المادية والثقافية في فيتنام الشمالية شيئاً فشيئاً .

ومن المحقق أن الفيتناميين الجنوبيين يتجهون ، كل يوم ، بقلوبهم إلى فيتنام الشمالية المتحررة ، ويقيهم أن توحيد شطري الوطن سيتحقق حتماً على الرغم من كل شيء ، ومهما استطاعت جيوش الولايات أن تصمد أمام ضربات العنيفة القاتلة التي يسدها إليها الفدائيون والأبطال الذين يدينون بالولاء التام بلجنة تحرير فيتنام الجنوبية .

وإذا كان الشعب الفيتنامي يكن للرئيس « هوشي منه » حبا عظيماً فرد ذلك إلى أنه وقف حياته كلها على خدمة الوطن والشعب .

وهو في هذا يقول :

« لم يكن لي في حياتي كلها سوى غاية واحدة هي النضال في سبيل مصالح الوطن وسعادة الشعب . لقد كان علي ، من وقت إلى آخر ، أن أختبئ في الجبال ، أو أن أدخل السجن ، لهذه الغاية بالذات » .

« إن لي رغبة واحدة ، وهي رغبة قوية جدا . . . إنني أريد أن أعمل على نحو يكفل لبلادنا الاستقلال ، ويضمن لشعبنا الحرية التامة المطلقة ، ويتيح لمواطنينا ما يكفيهم من الطعام ، والثياب ، والتعليم » .



الرئيس الراحل هوشي منه في زيارة لإحدى القواعد العسكرية

الرئيس هوشي منه يتحدث الى القرويين في إقليم « هاباك »



ويتحدث في تواضع جم عن الدروس التي استخلصها من حياته الثورية فيقول :

« هذه الدروس هي : التضحية بحياتي كلها لتحرير الطبقة العاملة وكل الذين يعانون من الضغط والقمع ، وفي سبيل انتصار الاشتراكية ، والتعاون الودي . والسلام اندائم بين الأمم » (١) .

.. .

ولئن كان الرئيس « هوشي منه » أعظم زعيم عرفته فيتنام في تاريخها الطويل المليء بالكفاح ، فقد كان - في الوقت نفسه - مناضلاً من طراز فريد في الحركات العمالية والشيوعية الدولية .

فالشعب الهندي لم يكن يعدّه ممثلاً لفيتنام ، ورمزاً لسيادتها فحسب ، بل كان في نظره من أحب الناس وأقربهم إلى النفوس في شبه الجزيرة الهندية .

ولقد قال زعيم الهند العظيم الراحل « جواهر لال نهرو » : « إن الرئيس " هو " رجل عظيم جداً في الخمسين سنة الأخيرة من تاريخ العالم » . وقال الرئيس الغني سيكوتوري : « إن الرئيس " هوشي منه " رجل تعرفه الشعوب الأفريقية حق المعرفة وتحترمه . فلقد أسهم بنصيب ضخم في التعجيل بحركة التحرير - وهي حركة ذات مغزى تاريخي بالنسبة للشعوب المستعمرة » .

والواقع أن الرئيس « هوشي منه » كان صورة للاتحاد الأخوي بين حركة التحرير الوطنية وبين البروليتارية العالمية ، وثورة أكتوبر الروسية ، والاتحاد السوفيتي ، وسائر البلاد الاشتراكية (٢) .

وواضح كل الوضوح أن الرئيس « هو » كان يستمد عظمته من اندماجه

(١) هوشي منه : « كتابات مختارة » .

(٢) من مقال عن « هوشي منه » للمفكر الفيتنامي فام فان دونج في صحيفة « نهان دان » - عدد ١٧ أبريل سنة ١٩٦٠ .

التمام مع الكتل الجماهيرية ، وحرصه الشديد على أن يفضى إلى حقيقة حكمتها ، ويستمع إلى أصواتها في صبر وأناة . ويدرس مقومات قوتها الحقيقية .

ولقد وضع الشعب الفيتنامي ثقته كلها فيه ؛ لأنه كان يثق دائماً بقوة الشعب . ولقد سجلت الثورة الفيتنامية لنفسها انتصارات متوالية رائعة حقاً لأن الحزب الذي تزعمه « هو » عباً واستطاع أن ينمى ، إلى درجة كبيرة جداً ، طاقات الشعب الجبارة ، وخصائصه ، وصفاته التي لا يمكن أن تقدر بثمن أثناء العمل الثوري الذي استهدف تحرير البلاد ، وبناء حياة جديدة . والرأى عند كثيرين من الأقطاب الشيوعيين أن « هوشى منه » شيوعى نموذجى لأنه كان يعانى الهموم قبل أن يعانىها شعبه ، ولا يعرف السعادة إلا بعد أن ينعم بها مواطنوه ، ولأنه استمر يحيا حياة بسيطة متواضعة حتى بعد أن ولى الرئاسة ، على نحو ما كان يفعل أيام النضال السرى .

وكان يقول :

« إن بلادنا ما برحت فقيرة ، ومن ثم لا يسعى أن أحيا حياة تختلف عن حياة مواطنينا » .

ثم يقول :

« إن حزبنا متحد وقوى ، وشعبنا متحد ومتحمس ، وجيشنا متحد باسل ، وسياساتنا سليمة ، والتصميم يعمر قلوبنا ، والأحزاب الشقيقة تمد لنا أيدي المساعدة . ولهذا — وعلى الرغم من الصعاب الجمة التي تعترض طريقنا — سننجح حتماً في بناء الاشتراكية في الشمال ، وإقامة السلام على دعائم ثابتة مستقرة ، واستكمال مقومات استقلال بلادنا المحبوبة ، وبذلك نسهم بنصيب ذى بال في الذود عن السلام العالمى » (١) .

(١) هوشى منه " كتابات مختارة " .

التمصل الرابع عشر

الجنرال جياب يتكلم . . .

اللقاء الأول . . ثم . .

قبل أن ندع الجنرال « جياب » يتكلم ، يجب علينا أن نعرف شيئاً عن هذا القائد العسكري العبقري الذي يطغى اسمه على أخبار الصحف العالمية بوصفه العقل العسكري المدير وراء حرب الشعب في فيتنام . ولما كان زميلنا الأستاذ صبرى أبو المجد الصحفي العربي الوحيد الذى التقى بالجنرال « جياب » منذ عامين وتحدث معه طويلاً فإننا نترك له الكلمة (١) :

منذ بضعة أسابيع وقف مستر رينيك عضو الكونجرس الأمريكى ، وأحد أصحاب المصانع والملايين فى نيويورك خطيباً فى مأدبة فاخرة أقيمت تكريماً له فى سايجون ، وأريقت فيها عشرات الصناديق من الشمبانيا ، وكان مما قاله رينيك : لقد شاهدت كل شىء فى فيتنام وأنا واثق بالنصر . . . النصر الذى سيكون ، دون أدنى شك ، ضخماً ، وعظيماً ، بل وسريعاً . . . إننا نملك الآلات الجهنمية التى لا يملك العدو جزءاً منها ، وهذا وحده سيكفل لنا النصر . . . » .

وكان « نجوين فوجياب » يستمع إلى هذا الكلام من محطة سايجون فى مكتبه المتواضع ، وأمامه لفيف من الصحفيين الأجانب ، ولم يعلق نجوين على كلام رينيك إلا بابتسامة ساخرة ! ! . وعند ما سأل الصحفيون الأجانب جياب - أو زياب كما ينطقها

(١) من حديث فى مجلة « المصور » .

الفيتناميون — عن الأكاديمية العسكرية التي تلقى فيها علومه أجاب صاحكاً : « إنها كمائن الغابات التي علمتني كل شيء ! » .
وعند ما طلب منه أن يقارن بين قوات فيتنام وقوات الولايات المتحدة الأمريكية ، قال :

« سئل العم " هوشي منه " هذا السؤال أيام حرب التحرير ١٩٤٤ — ١٩٥٤ ، وكانت إجابته أن الفرق بين قواتنا وقوات العدو فرق كبير جداً إلى حد أن بعض الناس يشبه حربنا ومقاومتنا ضد الفرنسيين بجرادة تحارب فيلاً ، ولكننا قلنا بحزم لهؤلاء المترددين والمتشائمين : إن الجرادة تحارب الفيل اليوم ، ولكن غداً سيكون الفيل قد تحلل وأصبح عظماً نخرة . . . » .

ويستدرك جياب قائلاً : « وليس معنى ذلك أن الفيل الأمريكي قد تحلل وأصبح عظماً نخرة فهو من القسوة الآن بحيث يستطيع توجيه ضربات ، ولكنه — حتماً — سيتحلل ويصبح عظماً نخرة عندما تكتمل الثورة الحاسمة ، ويصبح البحر — أعني الشعب — هو السمك ! » .

ويرسل جياب ضحكة عالية يقطع بها سكناً خيم على مكتبه .
ثم يقول :

« أكبر خطأ ارتكبه الفرنسيون أنهم ظنوا أنهم يحاربون جيوشنا ولم يتوقعوا أنهم يحاربون مجموع شعبنا ، وكذلك اليوم يرتكب الأمريكيون نفس الغلطة عند ما ينسون الشعب ، وعند ما يعتمدون كل الاعتماد على الطائرات والدبابات . أما نحن فلم يتغير خطنا منذ بدأنا حرب التحرير . . . الاعتماد على الشعب ، ولا شيء غير الشعب » .

وجياب — القائد الأسطوري — كما عرفته وكما سمعت عنه — رجل بسيط للغاية ، يضحك من كل قلبه دائماً ، وكأنما لم تجرؤ الهموم على الاقتراب منه ، ويحرص على أن يملأ جيوب ضيوفه الأجانب بالشوكولاتة

والفواكه الفيتنامية . ويطلب منهم أن يحتفظوا بما تركه في جيوبهم لزوجاتهم وأبنائهم

يصر دائماً على القول بأنه رجل مدني ليست للحرب حرفته . يحب السلام . يعبد الأطفال . يهوى تدريس التاريخ . يتميز بالعواطف الحارة . كما يتميز في الوقت ذاته — وهذا أمر غريب للغاية — بالأعصاب الباردة حتى ليطلق عليه هوشى منه اسم الثلج والبركان في وقت واحد ! .

وجياب . رغم حصوله على ليسانس الحقوق من جامعة هانوى عام ١٩٣٧ . ورغم حصوله على دكتوراه في العلوم الاقتصادية عام ١٩٣٩ إلا أنه كان من الذين يقدسون تدريس التاريخ العسكرى . ويقول أصدقاؤه إنه كان قادراً على أن يقفز إلى السبورة ليرسم بأدق التفاصيل : مخطط أية معركة خاضها نابليون .

ورغم تفوق جياب في الدراسة ، ورغم اشتغاله بالتدريس أثناء الدراسة . إلا أنه كان من أبرز أعضاء التنظيمات الثورية السرية منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره ! .

ويذكر جياب ، بكثير من المرارة : كيف اضطره العمل الثورى ، قبل بداية الحرب العالمية الثانية بقليل ، إلى الإقامة في الصين ، وكيف فقد ، في هذه الفترة التى غابها عن فيتنام ، زوجته وابنه ، وشقيقة زوجته — فعذب الأعداء زوجته في السجن إلى أن ماتت وطفلها ، ثم أعدموا شقيقة زوجته في سايغون لنشاطها الثورى .

وفي الوقت نفسه يذكر جياب ، بمزيد من الفخر ، أيام كفاحه الأول في « كاو سانج » حيث ولدت الحركة التحررية الفيتنامية مع بداية عام ١٩٢٩ ، ويروى كيف بدأ العم « هوشى منه » ورفاقه الأوائل : قام فان دونج ، ترونج شيه ، جياب — الحلقات الدراسية الأولى بكتاب صغير اسمه « طريق الحرية » ، ويروى بداية العمل العسكرى المنظم الذى تم في « باك بو » في كهف بأحد الجبال يتراوح عرضه بين كيلومترين

وثلاثة ، ويصل طوله إلى ستة كيلومترات ، بينما لا يبعد هذا الكهف عن الحدود الصينية الفيتنامية بأكثر من كيلومتر واحد . . .

ويذكر كيف كان الرفاق لا يجدون في الليل الغاز الذي يشعلون به المصابيح ، فكانوا يلتفون حول نيران الأخشاب يتناقشون ويغنون ، ويروي كيف كانوا لا يجدون من الطعام إلا بعض الأسماك المشوية ، أو المملحة ، فيتناولونها كل يوم في الصباح وفي المساء .

ويذكر جنرال جياب أياماً حزينة مرت به وبرفاقه ، عند ما جاءهم أحد الرفاق ليؤكد لهم أن « هوشى منه » قد قبض عليه داخل الصين ، وعذب حتى مات من التعذيب ومن المرض . . .

ويقول جياب : كان هذا أسوأ ما سمعناه . . . استولى الحزن علينا جميعاً . . . قررنا أن نخطر اللجنة المركزية بهذا الخبر السيئ . . . رحنا نبحث إمكانية العثور على جثمان العم « هو » ، وضرورة دفنه باحتفال مهيب . قررنا أن نرسل الأخ « كاب » إلى الصين ليعرف أى مكان دفن فيه العم « هو » . . . ثم حدث أن تلقينا بعد ذلك أوراقاً تحمل بعض مقاطع من شعر « هوشى منه » وسألنا الرفيق كاب الذى حول إلينا الخبر السيئ عن رأيه في الأوراق التي جاءتنا من العم « هو » . وقال كاب : إن بعض رجال الكومنتانج - حزب تشيانج كاي شيك - قد أكدوا له وفاة العم « هو » . . . وطلبنا - كما يقول جياب - من كاب أن يروي لنا بالضبط نص الكلمات التي سمعها من رجال الكومنتانج - وظهر أن زميلنا أخطأ في فهم بعض الحروف الصينية ، وهي متشابهة للغاية ، فظن أن كلمة نعم تعني مات . . . وانفجرنا جميعاً بالضحك لهذا الخطأ الذي أوقعنا في ربكة ليس لها مثيل ! ! .

* * *

والكلمة الآن للجنرال « جياب » ... الشبح الخفيف الذي يقلق الجنرال

يرامز قائد القوات الأمريكية في فيتنام الجنوبية . بقدر ما يقلق كبار رجال البنتاجون ، وزارة الدفاع الأمريكية (١) :

«عندما اندلع لهيب الحرب العالمية الثانية اشتد الضغط بقسوة ووحشية على حركتنا الثورية . فاضطرت المنظمات والهيئات الشرعية ونصف الشرعية إلى التوارى عن الأنظار ، وإحاطة نشاطها بالسرية التامة » .
« وحين كانت الجبهة الديمقراطية في الهند الصينية تزداد قوة ، ونفوذاً ، واتساعاً في عام ١٩٣٨ ، كانت حكومة دلاديه "الفرنسية" قد تخاذلت واستسلمت للفاشين ، وأصبحت هي نفسها حكومة "فاشية" » .

« وفي الهند الصينية كان الإمبرياليون يتحينون الفرصة ، وبدأوا ، في عام ١٩٤٠ ، بهاجمون إقليم لانج صون . وكان الاستعماريون الفرنسيون ، الذين فتحوا الأبواب أمام اليابانيين ، يشددون النكير على الحركة الشعبية الفيتنامية ، وأدى ذلك إلى تضاعف عدد المعتقلين ، وازدياد حركة القمع عنفاً . ولقد توارى حزبنا عن الأنظار ، وقرر العمل في الخفاء ، لكي يتمكن من مواجهة هذا الموقف » .

« وتنفيذاً لقرارات الحزب ، كان علينا - « قام فان دونج » وأنا - أن نجتاز الحدود ، ونقيم شطر الصين . . . كان موقفنا غاية في الدقة . لقد كنت أتولى التدريس في مدرسة تانج لونج ، وكان البوليس يراقب كل تحركاتي منذ بدأت التعاون مع إحدى صحف الحزب ، وقبل رحيلي التقيت بـ « هوانج فان نو » للمرة الأخيرة مع الأسف . . . لقد شرح لي الموقف ، وقال لي إن المهام الملقاة على كاهلي هي تنظيم وحدات حرب العصابات . . . وإعداد العدة لمواجهة الموقف عند ما يحتل الفاشيون اليابانيون الهند الصينية . . . وتوقع نزول قوات الحلفاء على سواحلنا . . . واتخاذ التدابير التي تمكن الجيش الفيتنامي من

(١) ذكريات عن " هوشي منه " - الطبعة الثانية ١٩٦٥ .

حماية الثورة الفيتنامية والذود عنها . . . والاستعداد . بكل الوسائل المستطاعة ، في كل المجالات والميادين . لشن حرب العصابات في الوقت المناسب .

« وقبل أن يرحل قال لي : ما دمت ذاهباً إلى الصين فأمامك فرصة للالتقاء بـ « نجوين أي كوك » . اسأله عن مصير رابطة الشعوب المغلوبة على أمرها في آسيا » .

« . . . ودخلنا الأراضي الصينية ، ووصلنا إلى مدينة كونمينج حيث كان في انتظارنا « فونج شي كين » و « فوآنه » اللذان طلبا منا الانتظار حتى يصل « فوونج » لكي يضع لي برنامج عملي » .

« . . . في تلك المنطقة كان رفاقنا على اتصال آنثد بالوحدات المحلية المتفرعة عن الحزب الشيوعي الصيني . وبمساعدة أولئك الرفاق وجدنا مقراً لنا ، وجمعنا عدداً من الكتب والمجلات ، وأقمنا شبكة اتصالات . . . وظلت منظمنا تعمل في سرية تامة لأن رجال تشيانج كاي شيك كانوا ساهرين » .

« . . . وكنت أنفق ساعات الفراغ في دراسة اللغة الصينية . وكنت أعتقد أنني أعرف من هو « فوونج » . . . كانت تلك الفكرة تستبد بذهني ذلك أننا حين كنا ثوريين في ريعان الشباب كان « نجوين أي كوك » مثلنا الأعلى » .

« في عامي ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، عند ما كنا نجلس تحت صور صون يات صن ، ولينين ، وبوذا ، لإجراء مناقشات سياسية في دار الوطني العظيم « فان بواشاو » الذي كانت إقامته محددة في « هيوى » ، كنا نذكر ما سمعناه عن الأعمال الخارقة التي قام بها « نجوين أي كوك » . . . وكان ذلك يثير حماسنا . . . وسرعان ما قرأنا جميعاً كتابه « قضية الاستعمار الفرنسي » الذي كان على غلافه عنوان باللغة العربية إلى جانب العنوان الأصلي . . . كانت تلك أول فرصة أتيتحت أمامنا لقراءة

مثل هذا الكتاب الفوار بالآتهامات . . . وكان من أثر ذلك أن انفعلنا
أيما انفعال . واندفعنا إلى العمل . . .

« . . . كانت ذكريات ذلك الماضي تملأ ذاكرتي خلال تلك
الساعات التي كنت أنتظر فيها الالتقاء — « فونج » الذي لم يكن
يخامرني شك ما في أنه هو « نجوين أي كوك » .

« . . . كنا آنذاك في شهر يونيو . شهر الصيف في كونمينج . وكان
« فونج شي كين » قد دعاني للتريض معه عند بحيرة « ثوى هو »
حيث كان « فونج » قد حدد لنا موعداً للالتقاء به . . . وبينما كنا
نمشي بخطى وثيدة دنا منا رجل ناضج العمر . يرتدى ثوباً أوريا ، وعلى
رأسه قبعة رمادية اللون .

وهنا قدمه لي كين قائلاً :

— الرفيق فونج . .

« لقد تحقق ما كنت أشعر به . . . إنه — على التحقيق — نجوين
أي كوك . . . كنت قد رأيت صورة التقطت له قبل عشرين عاماً ،
وتذكرت ملامحه في تلك الصورة . . . ولكنه أرسل لحيته بعد ذلك . . . »
« لقد أحس كل منا — على الرغم من أنني لم يسبق لي الالتقاء به —
أن بيننا صداقة عميقة كأن التعارف تم بيننا منذ وقت طويل . . . وطفق
يمشي ببطء على حافة البحيرة ، وأخذ يتحدث إلينا . . . وسألنا عن
نشاط اللجنة الديمقراطية ، وتطور الأحداث في بلادنا . وعند ما وصلنا
بالحديث إلى العمل الذي ينبغي أن يسند إلى ، بادرني قائلاً :

— لقد استطعت الوصول إلى هنا . . . هذا حسن جداً . . . لأننا

في حاجة إليك . . .

وسألته عن « رابطة الشعوب المغلوبة على أمرها » ، فأجاب :

— إنها مسألة كبيرة . . . ولكن الوقت لم يحن بعد . . .

« وعندئذ افترقنا . ثم عاودت الالتقاء به مع « فونج شي كين » و « فوآنه »

و«فام فان دونج» . كان يعرض للموقف الدولي ، ويحلل الأحداث التي وقعت في الصين ، وتطور الحرب ضد اليابانيين . وكان يحذرنا من «الكومنتانج» . ويوضح لنا سياسته ، والدور المزدوج الذي يقوم به إزاء الحزب الشيوعي الذي كان يتظاهر بالتعاون معه ليقف الجانبان في وجه اليابانيين ، مع أنه كان في الواقع يعمل على سحقه .

وذات يوم بادرني قائلا :

سافر إلى «يينان» « لدراسة السياسة في مدرسة الحزب ، وحاول أن تؤهل نفسك عسكريا . .

« وقبل سفرى إلى «يينان» التقيت بـ «نجوين أى كوك» مرتين أو ثلاث مرات ، وكان يشجعنى في كل مرة على توجيه جهودي إلى الدراسات العسكرية . « وغادرنا — «فام فان دونج» و «كاو هونج لانه» وأنا — مدينة

كوتمنج إلى « كوى يانج » حيث أقمنا ثلاثة أيام كدنا نختنق فيها من الحر القاطظ وانتظاراً للشخص الذى كان يجب عليه أن يقودنا إلى يينان .

« . . . ولكن حدثت مفاجأة عشية سفرنا من كوى يانج : فلقد تلقينا من « هوكانج » برقية يقول فيها إنه سيصل ، وطلب منا انتظاره .

« . . . كان الألمان قد احتلوا فرنسا آنذاك . . . وكان « فونج شى كين » و « فو آنه » هما اللذان لحقا بنا في كوى يانج ، وشرحا لنا تطور الأحداث ، وذكرنا أن العم « هو » قال لهما قبل سفرهما : « ما دام احتلال فرنسا قد تم فمن المحقق أن تبديلاً سيطراً على الموقف في الهند الصينية . ومن ثم استقر رأينا على السفر إلى « كوى لين » توطئة للعودة إلى فيتنام .

« وهكذا وصلنا إلى « كوى لين » حيث تم الاتصال بيننا وبين الجيش الثامن ، وحيث وعدنا رفاقنا الصينيون بأن يقدموا إلينا كل ما نحتاج إليه من عون ، ونظموا لنا مؤتمرات صحفية تحدثنا فيها عن الثورة في فيتنام ، وبوصفنا أعضاء في رابطة تحرير فيتنام التقينا بالجنرال

« لى تسي شن » الذى كان وقتئذ رئيس أركان حرب جيش تشيانج كاي شيك فى المنطقة الجنوبية الغربية . وقد ذكر لنا أثناء اللقاء أن قوات الحلفاء ستزل على سواحل الهند الصينية ، ورجانا أن نساعد فى وضع خطة تيسر لقوة أن تدخل فييتنام .

« ولما وصل العم ”هو“ إلى كوى لين . أطلعناه على الخطط العسكرية لجيوش الكومنتانج ، فقال لنا : يجب أن نكون أفكاراً واضحة مجلوة فيما يتعلق بهذا الموضوع . إن لنا حليفين حقيقيين فقط يمكن أن تسعدنا انتصاراتهما ، وهما : الجيش الأحمر السوفيتى ، والجيش الأحمر الصينى . أما جيش تشيانج كاي شيك فهو جيش رجعى على الرغم من أنه يحارب اليابانيين . إن تشيانج كاي شيك يتحدث عن التعاون بين الكومنتانج وبين الحزب الشيوعى ، وعن مقاومة اليابانيين ، ولكنه — فى الحقيقة — لا يحاول إلا القضاء ، بكل الوسائل . على الشيوعيين . ومن ثم يتحتم علينا أن ندرك أننا نقف أمام رجعيين .»

« لقد ناقشنا العم ”هو“ أثناء وجودنا فى كوى لين ، فى المهام التى يجب علينا أن نضطلع بها فى بلادنا . . . وذات يوم بسط لنا مشروعاته قائلا : إن الموقف يتطلب حشد كل القوى الوطنية وإنشاء جبهة وطنية ضخمة استقر الرأى أخيراً على تسميتها ، ”فيت منه“ .»

« ولقد حدث ، عقب وصولنا إلى كوى لين ، أن اشتعلت الثورة فى كوشنشين ”فيتنام الجنوبية“ ، ونشرت الصحف أنباءها بالتفصيل تحت عناوين ضخمة . وعندئذ أوشك صبرنا أن يتفد لأننا لم نكن قد استطعنا ، بعد ، الاتصال ببلادنا .»

« وشرح لنا العم ”هو“ الأمر قائلا : إن الموقف الدولى والوطنى يتطور فى صالحنا على طول الخط . وما دام هناك انفجار ”فى فيتنام الجنوبية“ فمن الخير أن ننظم فى سرية تامة صفوف المواطنين حرصاً منا على صون حركتنا . . .»

« . . . وقبل أن نرحل ساق إلينا العم ” هو “ توصياته الأخيرة قائلاً :
 « السرية . . . تذكروا السرية دائماً : يجب أن يعتقد العدو أنكم
 في الغرب حين تكونون في الشرق : سدّدوا ضربات مباغتة وانسحبوا قبل
 أن يتمكن العدو من أن يفعل شيئاً » .

« . . . لقد نفذنا توصياته في كل مراحل تقدمنا . . . من أول يوم
 نظمنا فيه أنفسنا حتى معركة ديان بيان فو . . . وبهذه الإرادة الثورية
 مضينا في النضال والقتال حتى النصر . . . » (١) .

(١) ذكريات عن ” هوشى منه “ — الطبعة الثانية — هانوى ١٩٦٥ .

الفصل الخامس عشر

حوار شامل

في شهر نوفمبر من عام ١٩٦٦ أجرى « إيمانويل داستيه دي لافيجيرى »
رئيس تحرير مجلة « إيفينمان » الباريسية مع الرئيس « هوشى منه » حواراً
جامعاً مانعاً نسوقه هنا إلى القارئ بالحرف الواحد :

سؤال — يعتقد بعض الناس أن هذه الحرب الفيتنامية ، هي نزاع
عقائدى ، ويعتقد آخرون أنها حرب في سبيل الاستقلال الوطنى ، فما هو
رأبك أنت يا سيدى الرئيس ؟

جواب — إن شعبنا شديد التعلق بالسلام ، والاستقلال ، والوحدة
الوطنية . لقد ضربت الولايات المتحدة عرض الحائط باتفاقيات جنيف
التي عقدت في جنيف عام ١٩٥٤ . وتضمنت اعترافاً رسمياً بحقوقنا
الوطنية . ثم راحت تشعل حرباً عدوانية ضد فيتنام الجنوبية ، وفي غضون
العامين الأخيرين طفقت تشن غارات جوية وحشية على فيتنام الشمالية .
وأمام هذه الهجمات والغارات وقف الشعب الفيتنامى كله ليحارب حتى
النهاية دفاعاً عن وطنه .

سؤال — بدأ الأمريكيون منذ سنة ١٩٦٥ يوفدون حشوداً من قواتهم
المسلحة إلى فيتنام الجنوبية . محاولين أن يستغلوا موسم الجفاف لاستعادة
المبادأة في ميدان القتال هناك ، هل يمكنكم أن توضحوا لنا نتيجة تلك
الحركة ؟

جواب — لقد منيت القوات المسلحة الأمريكية بهزائم مريرة أثناء
موسم الجفاف في سنة ١٩٦٥ — ١٩٦٦ على الرغم من أنها تلقت إمدادات

كثيرة . وخلال ستة أشهر خسرت الولايات المتحدة وأعوانها في سايجون ١١١ ألف رجل بين قتيل وجريح ، دون أن تتمكن من استرداد المبادأة . إن سلطة حكومة سايجون المزعومة لا تشمل حتى المدن ، ولقد تكبد جيشها خسائر جسيمة من جراء حركات التمرد وفرار جماعات حاشدة من الجنود . أما جبهة تحرير فييتنام الجنوبية فقد أثبتت أنها هي الممثلة الحقيقية لشعب فييتنام الجنوبية .

سؤال — وما هي الدروس التي خرجت بها فييتنام الشمالية من هذه الحرب؟

الجواب — قوبلت الغارات التي شنها سلاح الطيران الأمريكي بضربات عنيفة وجهت إليه ، فقد أسقطت ١٣٥٠ من الطائرات المغيرة حتى اليوم* . ولقد تكبدنا نحن أيضاً — بطبيعة الحال — بعض الخسائر ولكننا أعدنا تنظيم اقتصادنا بما يتفق مع الموقف الراهن .

في سنة ١٩٦٥ استمر إنتاج الأرز في الزيادة وقد بلغت محاصيل كثير من الجمعيات التعاونية الزراعية ، بما فيها الجمعيات الواقعة في المناطق التي تعرضت لغارات جوية عنيفة ، خمسة أطنان للهكتار الواحد في السنة . يضاف إلى ذلك أننا أنشأنا صناعات إقليمية ، واستطعنا أن نصون وسائل النقل والمواصلات ، وأن نحول دون ارتفاع تكاليف المعيشة .

وعلى الرغم من الغارات اليومية فإن ثلاثة ملايين تلميذ يذهبون إلى المدارس كالعادة . أما عدد طلبة الجامعات والمعاهد المهنية فيبلغ مائة ألف طالب .

وفي هذا دليل على مدى اتحاد شعبنا في حبه لوطنه ، ومدى تصميمه على إنزال الهزيمة بالعدو ، مهما بذل من تضحيات .

إن الواجب يحتم علينا أن نعي كل الشعب : وكل مرافق البلاد وصناعاتها ، استعداداً لحرب شعبية طويلة ضد المعتدين الأمريكيين . وأن ننمي الوعي الوطنى فى نفوس أفراد الشعب ، ونجعلهم يؤمنون بالبطولة الجماعية ، وأن ندفع بالحركة القومية إلى الأمام تحت شعار « الكل فى سبيل النصر » . هذه هى الخبرة التى نكتسبها من نضالنا الراهن فى سبيل الاستقلال الوطنى .

سؤال — هل أنتم فى حاجة إلى متطوعين من حلفائكم ومن البلدان الصديقة ، أم تحتاجون فقط إلى عتاد حديث ؟

الجواب — إن للولايات المتحدة قوة اقتصادية وعسكرية ضخمة . ولكى نزل الهزيمة بمثل هذا العدو فإننا نعتمد ، أولاً وقبل كل شئ ، على قوتنا الذاتية ، ونسعى ، فى الوقت نفسه ، إلى الحصول على أقوى مساعدة دولية فعالة .

ويطيب لى أن أذكر هنا أن للمساعدة والتأييد اللذين نظفر بهما من البلاد الاشتراكية الشقيقة قيمة كبرى . ولقد أعرب مئات الآلاف من المتطوعين فى البلاد الاشتراكية ، وفى بلاد أخرى ، عن استعدادهم للاشتراك معنا فى محاربة الإمبرياليين الأمريكيين . ونحن نرجى إليهم الشكر الحار على تضامنهم النضالى معنا ، وسنطلب منهم أن يعاونونا عند الاقتضاء .

سؤال — هل نستطيع أن نعلق أى أمل على الأقلية التى تسمى نفسها « متحررة » فى الولايات المتحدة ؟

جواب —.إننا نعتقد أن فى حركة الاحتجاج التى نراها الآن فى الولايات المتحدة ضد « الحرب القذرة » تأييداً لقضيتنا . وعلى الرغم من إجراءات القمع التى تتخذها الحكومة الأمريكية فإن تلك الحركة فى نمو مطرد .

سؤال — ما الذى يستطيع الفيتناميون أن يتوقعوه من التأييد الأدبى

والمادى الذى يقدمه لهم فى سائر أنحاء العالم أولئك الذين يؤيدون استقلال فييتنام ، وخاصة التأييد الذى يلقونه من أصدقاءهم الفرنسيين ؟

جواب — إننا نعرب ، مرة أخرى ، عن شكرنا وعرفاننا بالجميل للفرنسيين الذين تربطهم بشعبنا صداقة أخوية ازدادت قوة وتوثقاً أثناء النضال المشترك ضد الاستعمار .

إن نشاط الشعب الفرنسى ينطوى على إلهام عظيم لشعبنا المناضل ، وعلى إسهام هام فى سبيل قضية السلام ، والاستقلال والديمقراطية . والاشتراكية فى العالم .

سؤال — ماذا يستطيع الأمريكيون أن يفعلوه ؟

جواب — إن الأمريكيين غارقون حتى أعناقهم فى وورطتهم الفييتنامية ، ومع ذلك نراهم يدبرون مزيداً من المغامرات ضدنا ، ولكن شعبنا على استعداد لمواجهة هذه المغامرات ، ولقد عقدنا العزم على أن نقاتل حتى ولو دامت الحرب خمسة أعوام ، أو عشرة ، أو أكثر من ذلك .

إن الرئيس جونسون وأصدقاءه يخدعون شعبهم ، ويبدون تفاؤلاً وهمياً مزوراً بشأن موقف الولايات المتحدة فى فييتنام .

سؤال — ما هى احتمالات السلام ؟

جواب — كلما زاد الأمريكيون هذه الحرب « تصعيداً » ، تحدثوا عن استعدادهم المزعوم لإجراء « مفاوضات صلح » . ولكن هذا كله لا يعدو أن يكون ستاراً من الدخان .

ومع ذلك فقد نصبحنا أناس من ذوى النيات الطيبة الذين خدعهم دعاية الولايات المتحدة ، بأن ندخل فى مفاوضات صلح مع المعتدين بأى ثمن ، ولكنهم نسوا أن الولايات المتحدة لا تحتاج لإنهاء هذه الحرب إلا التعهد بالانسحاب . هذا هو الحل المشرف الوحيد للمشكلة .

سؤال — هل تعتقدون أن المبادئ التى تقوم عليها اتفاقات جنيف لا تزال سارية ومجدية ، وأنه يمكن إقرار السلام على هذا الأساس ؟

جواب — إن موقف فييتنام واضح ، وهو يتجلى في « النقاط الأربع » التي ساقها حكومة جمهورية فييتنام الديمقراطية (الشمالية) . وفي النقاط الخمس التي وضعتها جبهة التحرير القومية في فييتنام الجنوبية . وموقفنا هو تعبير صادق عن شروط اتفاقات جنيف ، وانطباقها على الموقف الراهن . وهذا هو الأساس السليم الوحيد لتسوية مشكلة فييتنام .

سؤال — ماذا سيكون مستقبل فييتنام المحررة بعد الحرب ؟

جواب — بعد أن يعود السلام سيوقف الشعب الفيتنامي كل قوته وطاقته على إعادة بناء وطنه ، وتحويله إلى بلد موحد ، مسالم ، مستقل ، ديمقراطي ، ينعم بالرفاهية . وتربطه علاقات صداقة بكل شعوب العالم المسالمة .

الفصل السادس عشر

كلام في الصميم

« السلام لا يكون سلاماً إلا إذا اقترن
بالاستقلال والحرية .
« هوشى منه »

في غضون شهر مارس من عام ١٩٦٧ تلقى الرئيس الفيتنامي
« هوشى منه » من الرئيس الأمريكى السابق ليندون جونسون رسالة هذا نصها :
صاحب السعادة . . .

« أكتب إليك وكلى أمل فى أنه يمكن وضع حد للقتال فى فيتنام ،
ذلك القتال الذى أدى إلى خسائر جسيمة فى الأرواح والممتلكات وإلى
بؤس بشرى . وإذا فشلنا فى الوصول إلى تسوية سلمية فإن حكم التاريخ
سيكون قاسياً علينا .

« ومن ثم أعتقد أن على كل منا واجباً كبيراً يقضى عليه بالسعى
جدياً إلى إيجاد طريق لتحقيق السلام .

« ولقد رأيت أن أكتب إليكم مباشرة ، ودافعى هو ذلك الواجب ، ذلك
أننا حاولنا ، خلال السنوات الماضية ، بمختلف الوسائل والطرق ، أن ننقل
إليكم وإلى رفاقكم رغبتنا فى تحقيق تسوية سلمية ، ولكن هذه الجهود
لم تؤد - لأسباب ما - إلى أية نتائج .

« ومن الجائز أن تكون آراؤنا وآراؤكم ، واتجاهاتنا واتجاهاتكم ، قد
شوهت ، أو أسىء تفسيرها أثناء نقلها بتلك الوسائل المختلفة . ولا ريب
فى أن ثمة خطراً فى الاتصال غير المباشر .

« وهناك طريقة واحدة للتغلب على هذه المشكلة والتقدم في سبيل الوصول إلى تسوية سلمية ، وهي بالنسبة لنا تدبير محادثات مباشرة بين ممثلين موثوق بهم في مكان أمين وبعيد عن ضوء الدعاية ، ويجب ألا تستخدم هذه المحادثات كوسيلة للدعاية بل يجب أن تكون جهداً جدياً لإيجاد تسوية عملية يقبلها الطرفان . »

« وفي الأسبوعين الماضيين قرأت بيانات عامة أدلى بها ممثلو حكومتكم وتوحي بأنكم ستكونون على استعداد للدخول في مفاوضات ثنائية مع ممثلي حكومة الولايات المتحدة بشرط أن نوقف « بدون قيد أو شرط » وبصورة دائمة عملياتنا الجوية ضد بلادكم ، وكذلك جميع الأعمال العسكرية ضدها . وفي الأيام الأخيرة أكدت لنا أطراف جديّة ومسئولة ، بصورة غير مباشرة ، أن هذا في الواقع اقتراحكم . »

« ودعني أقرر بصراحة أنني أرى صعوبتين كبيرتين في هذا الاقتراح . فنظراً لموقفكم العام لا بد من أن يؤدي هذا العمل من جانبنا إلى تكهن عالمي بأن المباحثات دائرة ومن شأنه أن يسيء إلى خاصية وسرية هذه المحادثات ، وثانياً ، لا مفر من وجود قلق خطير من جانبنا نحو ما إذا كانت حكومتكم ستستخدم مثل هذا العمل لتحسين موقفها العسكري . »

« وأنا على استعداد ، في سبيل إنهاء الأعمال العدوانية ، أن أذهب إلى أبعد مما اقترحته حكومتكم في أي من البيانات العامة ، أو بواسطة الطرق الدبلوماسية الخاصة . وإني على استعداد لأن أصدر أوامري بوقف الغارات الجوية ضد بلادكم ، وبوقف أية زيادة أخرى في القوات الأمريكية في فييتنام الجنوبية ، إذا أيقنت أن التسلل إلى فييتنام الجنوبية عن طريق البر والبحر قد أوقف ، وإني أعتقد أن ضبط النفس من الجانبين سيمكننا من إجراء محادثات جديّة وخاصة تكفل الوصول إلى سلام مبكر . »

« وإني إذا قدم هذا الاقتراح إليكم الآن يحدوني شعور محدد بالسرعة الناشئة

عن اقتراب إجازة رأس السنة في فييتنام ، وإذا ما كان في إمكانكم قبول هذا الاقتراح فلاني لا أرى من الأسباب ما يحول دون تنفيذه في نهاية عطلة رأس السنة . كما أن هذا الاقتراح الذي تقدمت به سيعزز إلى حد كبير إذا استطاعت سلطاتكم العسكرية وسلطات حكومة فييتنام الجنوبية التفاوض فوراً لإطالة مدة هدنة عطلة رأس السنة » .

« أما بالنسبة لمكان المحادثات الثنائية التي أقترحها فهناك احتمالات عديدة . وإن في استطاعتنا ، على سبيل المثال ، أن نجعل ممثلينا يجتمعون في موسكو حيث دارت اتصالات فعلا . وفي وسعهم أن يجتمعوا في دولة أخرى مثل بورما ، وقد تفكرون في أماكن أخرى ، وسأحاول تلبية اقتراحاتكم » .

« إن الشيء المهم هو وضع حد للقتال الذي حمل شعبينا ، وعلى الأخص شعب فييتنام الجنوبية ، أعباء جسيمة . وإذا ما كانت لديكم أية أفكار حول العمل الذي أقترحه فإن من المهم جداً أن أحصل عليها في أقرب وقت ممكن » .

المخلص — لندون جونسون

وفيما يلي رد الرئيس هوشي مينه :

رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية — فخامة الرئيس :

تلقيت رسالتكم يوم ١٠ مارس ١٩٦٧ وهذا ردى عليها :

« إن فييتنام تقع على بعد آلاف الأميال من الولايات المتحدة . ولم يلحق الشعب الفيتنامي أبداً أي ضرر بالولايات المتحدة ولكن على النقيض من التعهدات التي قطعتها حكومة الولايات المتحدة على نفسها — عن طريق ممثلها في مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ — فإنها تتدخل بلا انقطاع في فييتنام . لقد أطلقت وشادت حرب العدوان في فييتنام الجنوبية بهدف إطالة تقسيم فييتنام ، وتحويل فييتنام الجنوبية إلى مستعمرة جديدة ، وقاعدة

عسكرية للولايات المتحدة . وقد نقلت الحكومة الأمريكية - بقواتها الجوية والبحرية - لأكثر من عامين حتى الآن - الحرب إلى جمهورية فييتنام الديمقراطية ، وهي بلد مستقل ذو سيادة » .

« إن حكومة الولايات المتحدة ترتكب جرائم الحرب . وجرائم ضد السلام ، وضد البشرية . وفي فييتنام الجنوبية يلجأ نصف مليون من القوات الأمريكية والقوات الحليفة لها إلى أكثر الأسلحة لاإنسانية ، وإلى أشد وسائل الحرب همجية ، مثل النابالم ، والكيماويات السامة ، والغازات ، لذبح مواطنينا ، وتدمير المحاصيل وإبادة القرى عن آخرها » .

« وفي فييتنام الشمالية ألفت آلاف الطائرات الأمريكية مئات الألوف من أطنان القنابل ، لتدمير المدن ، والقرى ، والمصانع ، والجسور ، والسدود ، وحتى الكنائس . والمعابد ، والمستشفيات ، والمدارس . ويبدو في رسالتكم أنكم ترثون للآلام والدمار في فييتنام . فهل لي أن أسألكم : من الذي اقترف هذه الجرائم الوحشية ؟ إنها قوات الولايات المتحدة ، والقوات الحليفة لها . إن حكومة الولايات المتحدة مسئولة مسئولة كاملة عن الموقف البالغ الخطورة في فييتنام » .

« إن حرب العدوان الأمريكية ضد الشعب الفيتنامي تشكل تحدياً لبلاد المعسكر الاشتراكي ، وتهديداً لحركة الاستقلال الوطني . وخطراً داهماً على السلام في آسيا والعالم » .

« إن الشعب الفيتنامي يحب الاستقلال ، والحرية ، والسلام حباً عميقاً ، ولكنه في مواجهة العدوان الأمريكي قد نهض متحداً ، كرجل واحد ، متجرداً عن الخوف من التضحيات والصعاب . وهو مصمم على أن يمضي في المقاومة حتى يفوز بالاستقلال الأصيل ، والحرية والسلام الحقيقي وتتمتع قضيتنا العادلة بعطف وتأييد قوين من شعوب العالم كله ، بما في ذلك قطاعات عريضة من الشعب الأمريكي » .

« لقد أطلقت حكومة الولايات المتحدة حرب العدوان في فييتنام .

وينبغي لها أن توقف هذا العدوان . تلك هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة السلام . وعلى حكومة الولايات المتحدة أن توقف ، بصفة نهائية ، وبلا شروط ، غاراتها بالقنابل وجميع أعمال الحرب الأخرى ضد جمهورية فييتنام الديمقراطية ، وأن تسحب من فييتنام الجنوبية جميع القوات الأمريكية والحليفة لها ، وأن تعترف بجهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية ، وأن تدع الشعب الفيتنامي يرعى بنفسه شئونه الخاصة . هذا هو المضمون الأساسي لموقف حكومة فييتنام الديمقراطية ذي النقاط الأربع الذي يجسد المبادئ الأساسية ونصوص اتفاقات جنيف لعام ١٩٤٥ المتعلقة بفيتنام وهو الأساس لحل سياسي سليم للمشكلة الفيتنامية .

« لقد اقترحتم - في رسالتكم - إجراء محادثات مباشرة بين جمهورية فييتنام الديمقراطية وبين الولايات المتحدة . وإذا كانت حكومة الولايات المتحدة تريد فعلاً هذه المحادثات فعلها ، أولاً ، أن توقف بلا شروط غاراتها بالقنابل وجميع أعمال الحرب الأخرى ضد جمهورية فييتنام الديمقراطية .

« إن الشعب الفيتنامي لن يخضع أبداً للقوة ، ولن يقبل أبداً المحادثات تحت تهديد القنابل . إن قضيتنا عادلة بصورة مطلقة . . . والمأمول أن تتصرف حكومة الولايات المتحدة وفقاً لما يمليه العقل . »

المخلص - هوشي مينه

* * *

وفي شهر يناير من العام نفسه كان الرئيس « هوشي منه » قد أدلى بمحديث إلى « وليم باجز » رئيس تحرير صحيفة « ميامي نيوز » الأمريكية بوصفه مديراً لمعهد الدراسات الديمقراطية في مدينة سانتا باربارا بولاية كاليفورنيا .

وقد استهل الرئيس « هوشى منه » حديثه * قائلاً : إن شعب فييتنام الشمالية حريص ، أشد الحرص ، على أن يسود السلام كل بقعة في العالم ، ولكنه لن يفرط في استقلاله ليشتري السلام .

وتحدث الرئيس الفيتنامي ، أثناء الحوار الذى اتسع نطاقه ليشمل عدة مسائل ومشكلات أخرى ، عن الحروب التى شغلت فييتنام خلال الأعوام الخمسة والعشرين الأخيرة ، وعما يبديه شعبه من جلد ، ومثابرة ، وتصميم على الظفر بالنصر ، وعن شدة اهتمامه بكل ما يحدث فى الولايات المتحدة التى يعرف الشئ الكثير عن أحوالها السياسية والاقتصادية .

وهنا يقول : « ولیم باجز » :

« كان هوشى منه كريماً ، لطيف المعشر ، ودوداً ، ولكنه ، فى الوقت نفسه ، كان صارماً فى أدب حين تحدث عن سياسة بلاده . وفى بعض الأحيان كاد صبره مع المترجم ينفد ، فينظر إلى متحدثاً بلهجة إنجليزية سليمة » .

إن محور سياسة حكومته فى صراعها مع الأمريكين هو ، فيما يبدو ، التصميم على سحق أية محاولة للنيل من استقلال جمهورية فييتنام الشمالية الديمقراطية وحريتها .

وهو فى هذا يقول بلهجة التأكيد والتصميم :

« إن شعب فييتنام يقدس الحرية إلى أقصى حد ، بيد أن السلام لا يكون سلاماً إلا إذا اقترن بالاستقلال والحرية . ولن نتنازل عن استقلالنا فى سبيل السلام ، فلقد حاربنا طويلاً ذوداً عن استقلالنا وحریتنا » .

ومضى « ولیم باجز » يقول :

« وكثيراً ما يسمع المرء كلمتى الاستقلال والحرية فى هانوى ، وفى كل

* هذا أول حديث أدلى به الرئيس هوشى منه إلى صحفى أمريكى منذ أعوام عديدة .

أنحاء الريف الفيتنامي ، والواقع أن هاتين الكلمتين فعل السحر في كل أرجاء البلاد .

« وقبيل اللقاء الذي تم بين هوشي منه وبينى ، قال لي أحد الوزراء :
« ينبغي لك أن تذكر أننا نخوض غمار الحرب منذ خمس وعشرين سنة . لقد اشتبكنا في حرب مع اليابانيين بعد أن احتلوا بلادنا إبان الحرب العالمية الثانية . ثم عاد الفرنسيون ليحاولوا بسط حكمهم على هذه البلاد مرة أخرى ، فحاربناهم وهزمناهم . والآن نحارب الأمريكيين . ألا ترى الآن أننا خضنا غمار الحرب أعواماً عديدة ، ومن ثم لا يمكننا ، بحال . ما ، أن نقبل المساس باستقلالنا ؟ » .

« إن هوشي منه أسطورة في آسيا : لقد كان منذ نصف قرن يتحدث عن القومية والوطنية في أوروبا ، ولا سيما في باريس ، مطالباً بالاستقلال لبلاده ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، والتحق بعمل متواضع في نيويورك خلال فترة قصيرة من الزمن » .

ولقد أعرب لي عن احترامه للأمريكان قائلاً :

« إننا نحترم الشعب الأمريكي ، لأنه شعب ذكي يحب السلام والديمقراطية . إن الجنود الأمريكيين يرسلون إلى هنا ليقتلوا ويلقوا حتفهم . ومعظمهم متعلمون . ولو أنهم جاءوا إلى هنا ليقدموا إلينا يد العون بوصفهم خبراء وفنيين لرحبنا بهم كأصدقاء وإخوة . . . بيد أنهم يجيئون ليقتلوا ويعرضوا أنفسهم للقتل . . . يا للعار » .

« وثمة أمر قد يصعب عليك أن تصدقه وهو أنني أتألم ليس فقط عند ما تزهق أرواح الفيتناميين ، بل عند ما يقتل الجنود الأمريكيون أيضاً ، ذلك إنني أشفق على ذويهم » .

ثم قال باجز :

« ولقد اتضح لي أن الأنباء التي أذيعت في سائر أنحاء العالم عن

مرض هوشى منه ، وذلك بمناسبة بلوغه السابعة والسبعين * لا نصيب لها من الصحة على الإطلاق . وهذه المناسبة يطيب لى أن أذكر أنه يحب الجدل والنقاش ، ويعرف كيف يبسط ما لديه من حجج قوية بعبارات بسيطة . وهو يستيقظ فى الساعة الخامسة من صباح كل يوم ، ويبدأ عمله اليومى فى الساعة السادسة .

« وكثيراً ما يلتقى هوشى منه بوزرائه وبالشخصيات البارزة التى تزور هانوى قبل أن يتتصف النهار بوقت طويل . ولكن ، لأمر ما ، شاء أن يستقبلنى بعد الظهر »

وكان الرئيسى هوشى منه قد وجه فى الثالث والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٦ ، رسالة إلى الشعب الأمريكى هذا نصها الحرفى :
« أحب ، بمناسبة حلول العام الجديد ، أن أعرب للشعب الأمريكى عن تمنياتى القلبية راجياً له السلام والسعادة » .

« كان ينبغى أن يعيش الشعبان الفيتنامى والأمريكى فى سلام وصداقة بيد أن حكومة الولايات المتحدة أرسلت - فى وقاحة وصفاقة - ٤٠٠ ألف جندى ، ومعهم آلاف الطائرات ، ومئات من السفن الحربية ، للاعتداء على فيتنام ، واستخدمت ، ليلاً ونهاراً ، قنابل النابالم ، والغاز السام ، والقنابل التى تنفثت إلى شظايا قاتلة ، وغيرها من الأسلحة الحديثة لإبادة شعبنا ، دون أن ترحم حتى الشيوخ ، والأطفال . لقد أحرقت أو دمرت قرى ومدناً ، وارتكبت جرائم مريعة فى الإجرام . وأخيراً أسقطت الطائرات الأمريكية قنابلها مراراً على هانوى ، عاصمتنا الحبيبة » .

ومضى العم « هو » يقول :

« وكان من جراء هذه الحرب الإجرامية التى أشعلتها حكومة الولايات

المتحدة أن تم تجنيد مئات الآلاف من الشبان الأمريكيين ، وأرسلوا لكي يلقوا حتفهم بلا فائدة بعيداً عن وطنهم ، في ميدان القتال الفيتنامي . حدث في مئات الآلاف من الأسر الأمريكية أن فقد الآباء أبناءهم والزوجات أزواجهن .

« ومع ذلك ادعت حكومة الولايات المتحدة أنها تواقعة إلى إجراء مفاوضات صلح ، محاولة بذلك أن تغش وتخدع الشعب الأمريكي ، وسائر شعوب العالم ، مع أن الواقع أن هذه الحرب تزداد اتساعاً يوماً في إثر يوم »

« وتخطئ حكومة الولايات المتحدة إذ تعتقد أنها تستطيع بالقوة الوحشية أن تفرض الاستسلام على شعبنا ، ذلك أن الشعب الفيتنامي لن يستسلم أبداً ، إننا نحب السلام ، ولكنه ينبغي أن يكون سلاماً حقيقياً ، مقترناً بالاستقلال والحرية . وفي سبيل الاستقلال والحرية وطن الشعب الفيتنامي العزم على مقاتلة المعتدين الأمريكيين حتى النصر النهائي ، أياً كانت الصعاب والتضحيات . »

« من الذي سبب هذه الأحزان وكل هذا الحداد للشعبين الفيتنامي والأمريكي ؟ إنهم الحكام الأمريكيون . لقد أدرك الشعب الأمريكي هذه الحقيقة . ويتزايد عدد الأمريكيين الذين يناضلون بقوة مطالبين الحكومة الأمريكية باحترام الدستور ، وشرف الولايات المتحدة ، ووقف العدوان في فيتنام ، وإعادة كل الجنود الأمريكيين إلى بلادهم . »

وأخيراً ، قال :

« إني أرحب بنضالكم ترحيباً حاراً ، وأشكركم على تأييدكم النضال الوطني لشعب فيتنام ، وأرجو مخلصاً أن يسجل الشعب الأمريكي انتصارات كبرى في كفاحه من أجل السلام ، والديمقراطية ، والسعادة . »

وكان العم « هو » قد أعلن قبل ذلك ، بمناسبة الذكرى الثانية عشرة

لعقد اتفاقيات جنيف الخاصة بالهند الصينية * أن بلاده لن ترضى بأقل من شروطها الأربعة للموافقة على إجراء محادثات سلام بشأن مشكلة فيتنام، وأن أول هذه الشروط - وليس له بديل - هو انسحاب جميع القوات الأمريكية من الأراضي الفيتنامية .

وقال : « لقد شددت الولايات المتحدة غاراتها على فيتنام الشمالية لإجبارنا على إجراء مفاوضات سلام على أساس الشروط الأمريكية ، بيد أن شعبنا وجيشنا سيواصلان القتال يداً واحدة حتى النصر مهما كلفنا ذلك من تضحيات ومتاعب » .

ومضى يقول : « إن الحرب قد تستمر عشرة أعوام أو عشرين عاماً ، وقد تدمر هانوى وهايفونج وعدة مدن أخرى . وقد ترسل الولايات مليوناً من جنودها إلى فيتنام الجنوبية ، وقد تشترك آلاف الطائرات في الغارات على فيتنام الشمالية . . . لكن هذا كله لن تكون له نتيجة سوى زيادة تصميمنا على المضي في القتال حتى يهزم العدوان » .

ثم قال : « إن الغارات على هانوى وهايفونج ليست سوى أعمال يائسة من جانب الاستعمار الأمريكي ، أشبه بآلام وحش مفترس وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة » .

الفصل السابع عشر

في المرأة

كتب جان لا كوتير يقول (١) :

لم أره يدخل قاعة الاستقبال التي كنت أنتظره فيها ، ولم أسمع وقع خطواته على الأرض ، فإن خفيه اللذين يشبهان أخفاف الرهبان كانا يتزحلقان على الأرضية « الباركيه » اللامعة في القصر الذي كان يقيم فيه قبله المقيم الفرنسي العام في تونكين . . .

— أشكرك يا سيدى على هذه الزيارة .

الصوت هادئ فيه شيء كثير من الرقة والنعومة ، واللهجة مبهمه إلى حد كبير ، حتى ليصعب على المرء أن يصفها أو يحددها .
لقد بهرتني هذه الشخصية الأسطورية التي دخلت قاعة الاستقبال وكأنها أبت إلا أن تتحرك بطريقة هي أقرب إلى التسلل منها إلى أي شيء آخر .

كنت أتصوره أطول ، وذا ظهر مقوس بعض الشيء ، وأقل هدوءاً . . . بل لقد تصورته ممروراً ، فواراً بالحقد لما عاناه من مطاردة طوال حياته ، ومن جراء قسوة المعاملة التي لقيها في السجون .

إن ما يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، أولاً وقبل كل شيء ، هي إمارات الوداعة العجيبة المرتسمة دائماً على قسبات وجهه ، بيد أن هذه الوداعة تقترن بنظرة مذهلة ، نفاذة ، تنطلق من عينيْن أيقنت أنهما

(١) مجلة « هيسطوريا » — العدد ٢٥١ — ص ١٠٢ وبعدها سنة ١٩٦٨ .

تريان كل شيء . وإن كان يلوح أنهما لا تدققان في شيء على الإطلاق .

لقد بدا لي - لأول وهلة - بجيبته الضخم . وشعره الخفيف الثائر الذي وخطه الشيب تماماً . كأنه لم يعرف في حياته إلا الشدة والعنف ، والأمر والنهي .

ولكني سرعان ما وجدت على وجهه دلائل الاتزان ، والوقار ، والكياسة . والمرونة ، واللباقة .

ولكن هل يمكن أن يقال إن له نظرة ساذجة ؟ لا يسعى أن أجيب على هذا السؤال بالإيجاب لأنني أعرف عنه أشياء تجعلني أجزم بأنه لم يعرف معنى السذاجة طوال حياته .

المجامل المضطرب

ومن عجب أن في حركات المجاملة التي يقوم بها شيئاً يتم عن الاضطراب . . .

فإذا قدم إلى ضيفه فتجان شاي ، أو قرب منه مقعداً ليجلس عليه ، أو مد إليه يده بعلبة سجائر . . . بدا عليه الاضطراب ، وخيل إلى زائره أنه يريد أن يعتذر دائماً عن اضطرابه إلى الإقامة في هذا القصر الفخم الذي كان يقيم فيه الحاكم الاستعماري فما مضى ! .

ومن الثابت المحقق أنه يعرف قيمة الاتصالات الشخصية حق المعرفة ، وهو بارع كل البراعة فيما يبيديه من لطف ولين جانب حيال ضيوفه ، بل إن له قدرة عجيبة حقاً على تحويل النقاش العادي الهادي الذي يدور بينه وبين زواره إلى حوار كله صدق وحرارة وإخلاص . . . ومن ثم يصبح للكلمات العادية جرس قوى مذهل ! .

لقد تبادلنا يومئذ عدداً من الكلمات لا يحصى ، ولكن أنستني معظمها تلك النظرة الحارة ، المدققة ، التي صوبها إلي . . . أنا الزائر المجهول ! .

لقد جلس أمامي على مقعد وثير ، وتحدث إلى بصوته الشجي
الساخر :

— إن شعباً مثل شعبكم (الشعب الفرنسي) الذي أتاح للعالم أدب
الحرية . . . سيجد فينا شعبكم أصدقاء ، مهما يكن موقفه منا ! ويطيب
لي أن أذكر لك يا سيدى أنى أعاود ، كل عام ، قراءة المؤلفات التي
فاضت بها عبقريتنا فيكتور هيغو وميشليه ، وهذه القراءات تشعرني بأن ثمة
أخوة بين الشعبين الفرنسي والفيتنامي . . .
وأمسك عن الكلام هنيئة ثم استطرد :

غير أن هؤلاء الفرنسيين الذين ألتقي بهم في كتب هيغو وميشليه
يختلفون كل الاختلاف عن أولئك الذين أساءوا تمثيل بلدكم . . . آه
يا سيدى . . . هل يتحتم أن يكون الاستعمار شيئاً سيئاً لكى يغير نفوس
الناس إلى هذا الحد .

وهنا بدأت شعيرات ذقنه تضطرب ، وازدادت حركات يديه تعبيراً ،
واحتد صوته . . . ولكنه بذل قصارى جهده ، واستجمع كل قواه ليظل
هادئاً ، رابط الجأش . . . حتى لا يندفع في مناقشة حامية قد تكون فيها
إهانة لحدثه . . . الذى هو أنا ! .

ثم غمرت وجهه الأسمر ابتسامة غريبة شدت خديه نحو عينيهِ الברاقَتين
اللّتين زال منهما كل أثر للسداجة . . . ابتسامة مجمدة أظهرت أسنانه
التالفة . . . إن لسحر شخصيته حدوداً ! ! .

غير أن تلك الابتسامة الغريبة لم تلبث أن زالت . . . ومرة أخرى
استرد نظرتَه المؤثرة التي تشبه نظرة القسس الفرنسيّسكان ! .

ولقد ذكرنى قميصه ذو اللون الرملى بقميص « صن يات صن » . . .
وقمصان الموظفين الاستعماريين القدامى المحالين إلى المعاش . . . ولكنه —
لأمر ما — بدا لي في صورة مثقف ، محترم ، ومبجل من أهل « أنام »
أراد أن يلبس رداء التورة !

« فييت منه »

وعلى حين غرة . . . فاجأني - وكأنه استطاع أن يقرأ أفكاري! -
بتعريف « فييت منه » قائلاً إنه لا يعدو أن يكون جبهة قومية ديمقراطية
بسيطة لا يضطلع فيها أصدقاؤه الشيوعيون بدور رئيسي على الرغم من أن لهم
أغلبية الأصوات.

وهنا خيل إلى أنني أصغى إلى رجل طويل الباع في وضع الخطط
التكتيكية السياسية وهو يتحدث عن تحالف انتخابي، أو ائتلاف برلماني
يستهدف إقرار إحدى الميزانيات .

ولئن كان العم « هو » على جانب من البراعة والفطنة في إقناع محدثه بأنه
يؤثر الاعتدال في كل شيء ولا سيما في حلبة السياسة، فإنه ذو قدرة عجيبة
جدا على تعجب الإجابة على الأسئلة التي تسبب له ضيقاً وحرجاً، أو الأسئلة
التي يعتقد أنها سابقة لأوانها .

من ذلك مثلاً أنني حاولت أن أحمله على التحدث إلى عن المفاوضات
التي جرت بينه وبين « سانتيني » مندوب الحكومة الفرنسية في الأيام الأخيرة
من شهر فبراير عام ١٩٤٦، فعمد إلى المراوغة بعبارات طويلة لانتهاء لها
وفيها شيء غير قليل من الإبهام والغموض، ثم أطرى الجنرال ديجول،
وتحدث عن ذكرياته في باريس خلال سنة ١٩٢٠، وأخيراً أبدى رأيه في
مؤلفات الكاتب الفرنسي الكبير « اندري مالرو » وزير الثقافة .

وانطوت ثمانية أعوام . . .

وها هو ذا يقف في مواجهة شعبه بعد انقضاء يوم واحد على النصر . . .
إنه الزعيم العجوز الذي تجاوز الرابعة والستين . . .

مراجع البحث

BIBLIOGRAPHIE

- * Jean Lacouture : Ho Chi Minh.
- * Sainteny : Histoire d'une paix manquée.
- * Bernard Fall : Vietnam Witness : 1952-66.
- * Ph. Devillers : Histoire du Vietnam.
- * Wilfred Burchett : My visit to the liberated zones of South Vietnam.
- * Truong Chinh : Le President Ho Chi Minh.
- * Pham Van Dong : President Ho Chi Minh.
- * Hoang Quoe : Recits de la resistance Vientnamienne.
- * Souvenirs sur Ho Chi Minh : Hanoi.
- * Letters from South Vietnam : Hanoi.
- * Etudes vietnamiennes : Hanoi.

* * *

Le Monde, Paris Match, l'Événement, Historia, le Courrier du Vietnam, Sunday Times, Observer, New York Times, Washington Post, Time, Newsweek, U.S. News World Report.

مطابع دار المعارف بمصر

سنة ١٩٦٩

الكتب
المقدمة

لحات من المشرع العالمي

ماذبية صدق

تقدم

آسيا والسيطرة الغربية

تأليف ك. م. بانيكار

ترجمة الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد

عرفت أوروبا السواحل الآسيوية منذ نزول فاسكو دي جاما على ساحل قاليقوت يوم ٢٧ مايو ١٤٩٨ ، فسجلت نقطة تحول في تاريخ آسيا ، ومن ذلك اليوم ، وحتى منتصف القرن العشرين ، عانت شعوب آسيا ألواناً من الجور والعسف على يد « البرابرة الحمر » الذين أتوا إليهم مبشرين فتجاراً فغزاة فمستعمرين .

والمؤلف يؤرخ لهذه الفترة الطويلة بأسلوب المؤرخ الذي يستقى مادته من الوثائق التاريخية ، وبقلم الصحفي الذي يبدع التصوير ، فيعطى دراسة تحليلية للظروف السياسية والاقتصادية التي مكنت للاستعمار الغربي من شعوب القارة الآسيوية ، والمراحل التي مرت بها العلاقات الأوربية والأمريكية الآسيوية حتى انتهت بتمزيق القارة إلى أشلاء ينهشها المستعمرون وينزحون خيراتها إلى أوروبا حيث قاموا بالصناعية الأوربية على حساب آسيا .

٥٤٠ صفحة

الثنى

خدا المعارف دار المعارف



0236315

704
92
81a